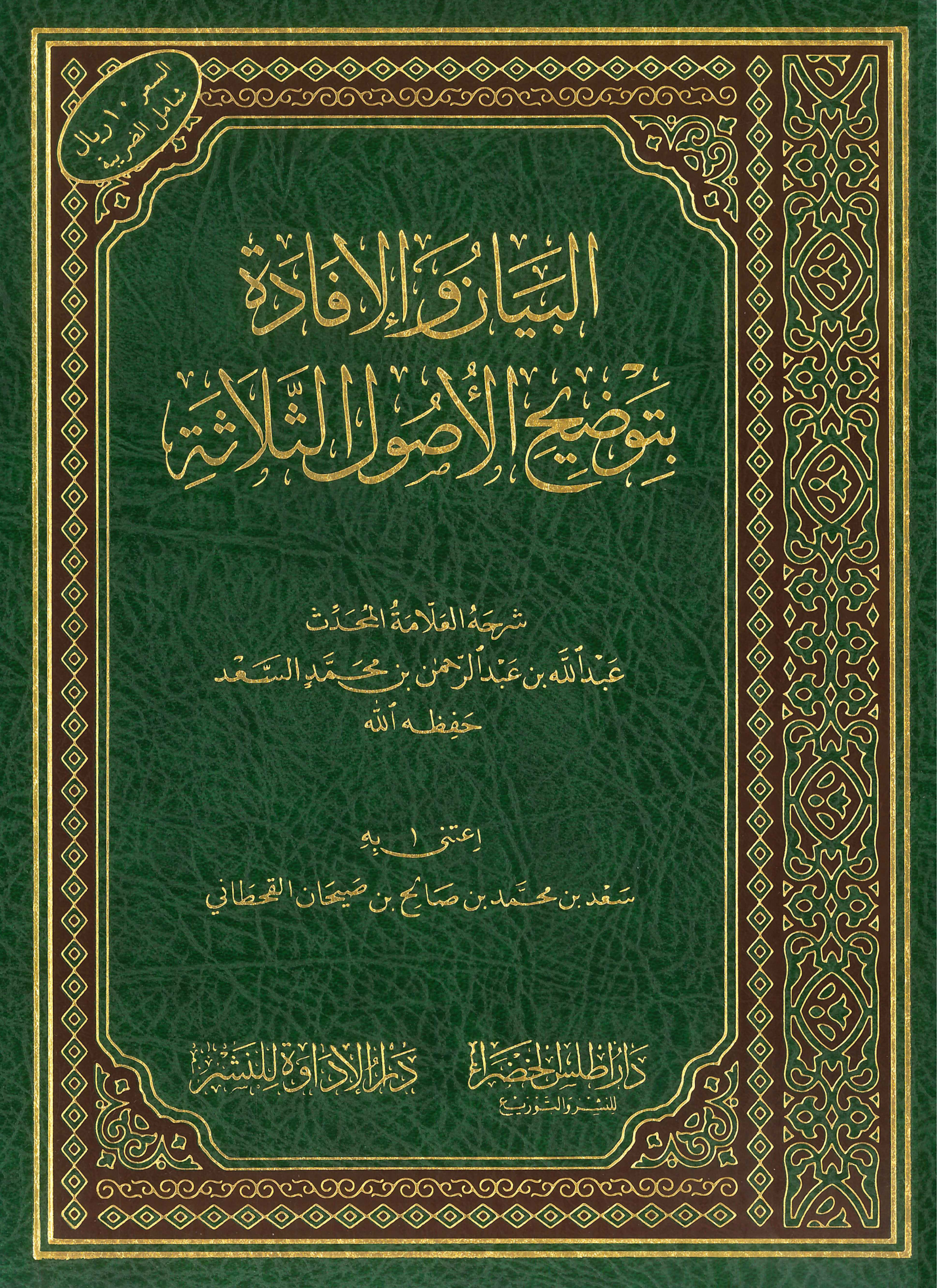
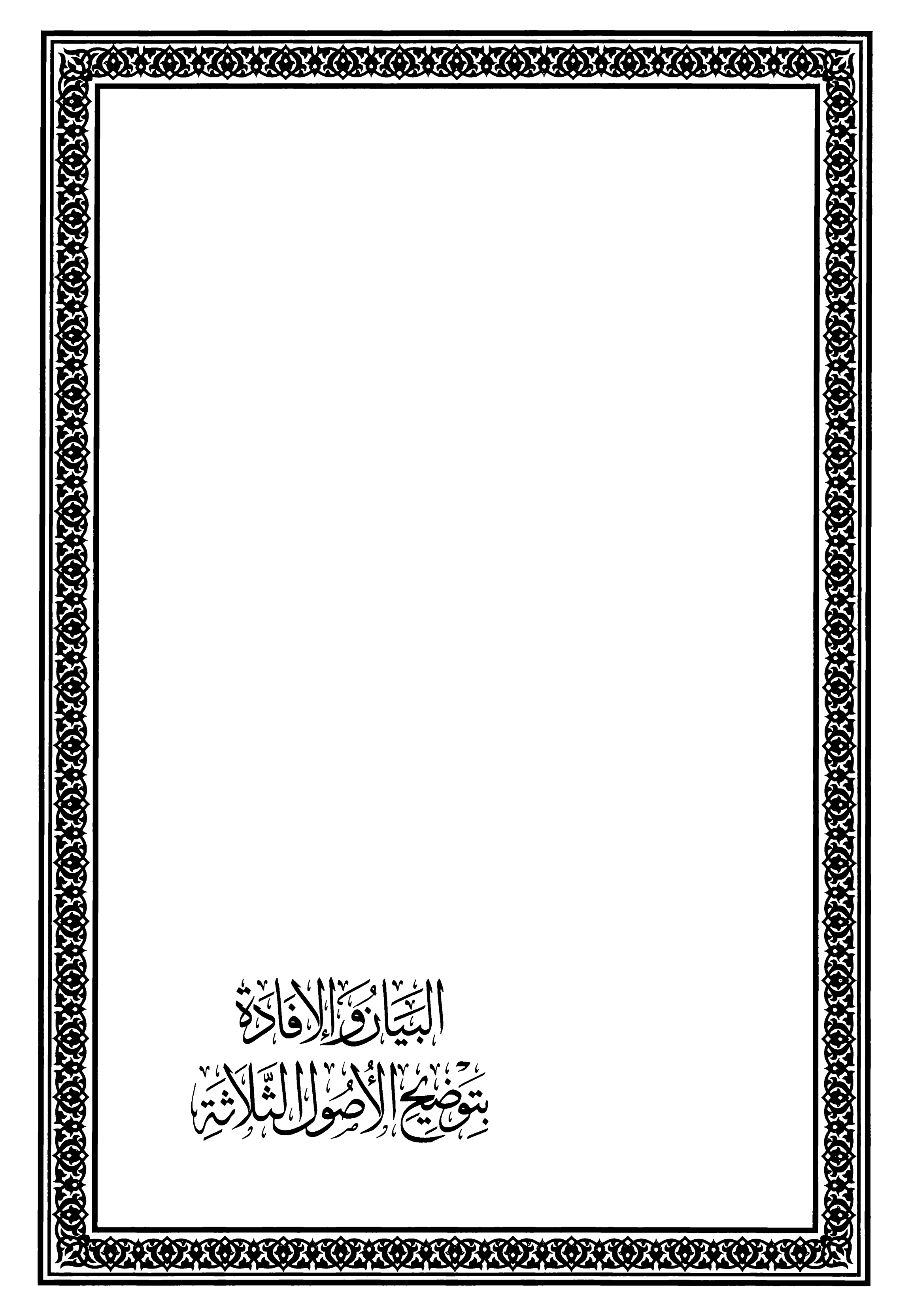

السعر ١٠ ريال شامل الضريبة
البيان والإفادة
بتوضيح الأصول الثلاثة
شرحه العلامة المحدث
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد
حفظه الله
اعتنى به
سعد بن محمد بن صالح بن صيحان القحطاني
دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع
دار الإداوة للنشر



البيان والإفادة
بتوضيح الأصول الثلاثة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعد، عبدالله عبدالرحمن

البيان والإفادة بتوضيح الأصول الثلاثة./عبدالله عبدالرحمن السعد – الرياض، ١٤٤١هـ

١٤٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٢-٣-٢٩١٣٩٢-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤١/٧٧٩٨

رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٧٩٨
ردمك: ٢-٣-٩١٣٩٢-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

جوال: ٠٥٤٤٨٩٦٦٥٤

twitter: @ dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com



9786039139232

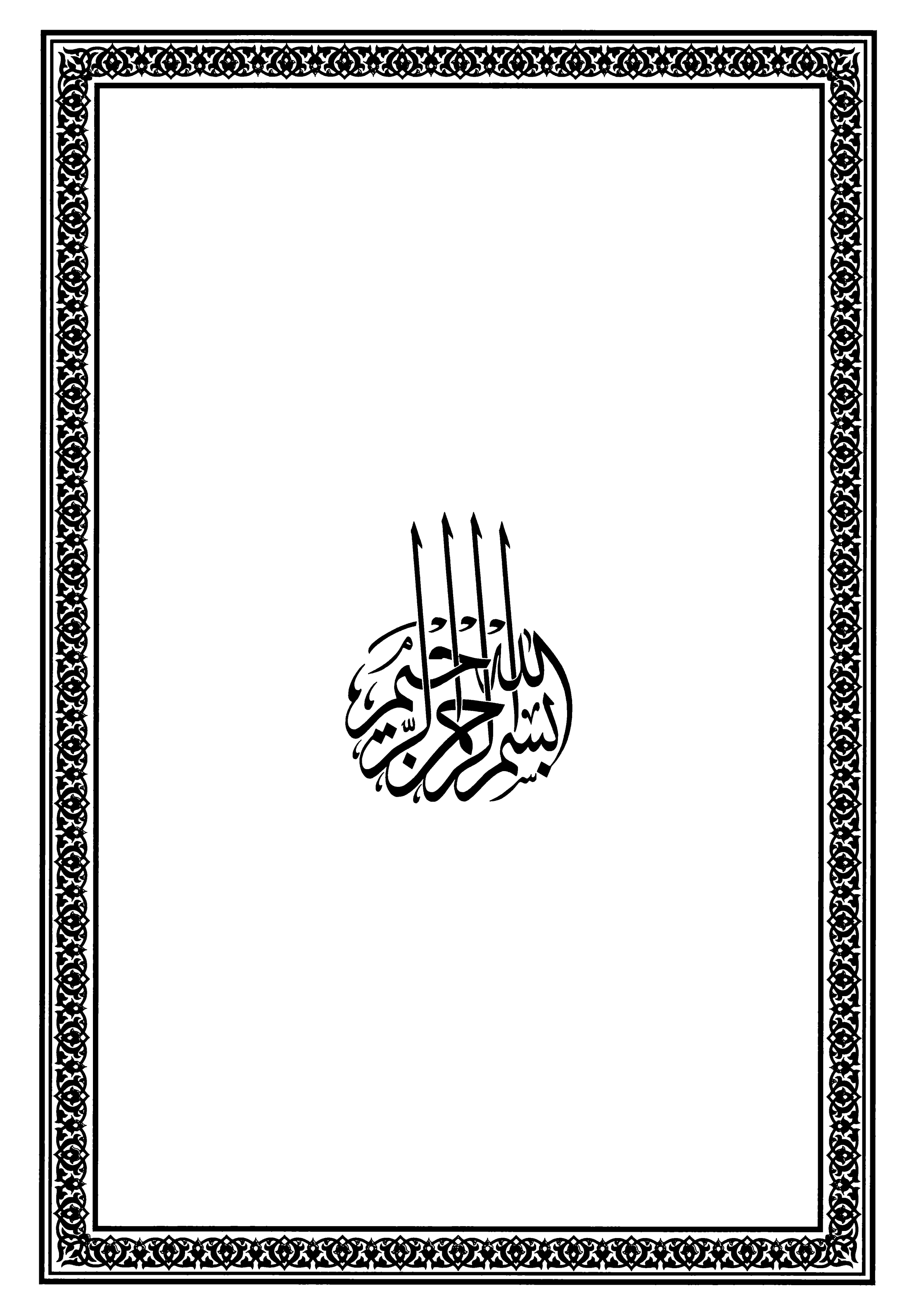


شرحه العلامة المحدث
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السعد
حفظه الله

اعتنى به
سعد بن محمد بن صالح بن صيحان القحطاني

دار الإداوة للنشر




بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد: فهذا شرح لرسالة ثلاثة الأصول للإمام محمد بن عبدالوهاب[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وأصله دروس أُلقيت، وقد سجّلت، ثم فرّغت هذه الدروس، وأُعيد صياغتها، وتحريرها، والله أسأل أن ينفع بها وبأصلها، وجزى الله خيرًا من قام عليها وساهم في إعدادها وطبعها، وبالله تعالى التوفيق.

عبدالله بن عبدالرحمن آل سعد

١٤٣٩/١٢/٣٠هـ



(١) وهو محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي، ولد ١١١٥هـ، وهو الإمام المجدد، توفي عام ١٢٠٦هـ.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة الإسلام بالأدلة.

==

الشرح:

قوله: «العلم» وذلك أن العلم قبل القول والعمل، والاعتقاد يسبقه العلم، وكذا العمل يسبقه العلم. ولذا بوّب البخاري في «صحيحه»: باب العلم قبل القول والعمل، كما سوف يأتي.

فإذا كان العلم مبني على الكتاب والسنة، فإن الاعتقاد يكون اعتقادًا صحيحًا، والعمل يكون عملًا صحيحًا؛ لموافقته لما جاء في الكتاب والسنة.

ولذا اقتصر الشيخ على صورة العصر في الدلالة على هذه المسائل الأربع، لأنها شاملة لها.

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]. فيقسم ربنا جَلَّ وَعَلَا بالعصر، وهو الزمان، وإذا أقسم الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء دل على شرف المقسوم به، ومن المعلوم أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقسم بما شاء من مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف العبد فإنه لا يقسم إلا بربه عَزَّ وَجَلَّ، كما جاء في «الصحيحين» من حديث نافع، عن ابن

(١) سورة العصر، الآية (١-٣).

عمر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ينادي بالناس: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»[١].

ولما جاء في «سنن أبي داود» من حديث سعد بن عبيدة، عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك**»[٢].

وجاء أبي داود من حديث ابن بريدة، عن أبيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»[٣]. إلى غير ذلك من الأدلة التي فيها النهي عن الحلف بغير الله.

والحلف بغير الله شرك، وهو على قسمين؛ إما أن يكون شركًا أكبر، وإما أن يكون أصغر.

فإذا اعتقد في المحلوف به بأنه عنده شيء من خصائص الرب جَلَّ وَعَلَا (فيكون شركًا أكبر).

وإذا كان الحالف لا يعتقد بأن المحلوف به عنده شيء من خصائص الرب جَلَّ وَعَلَا وإنما عظمه تعظيم نسبيًّا، فهذا شرك أصغر.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

يخبر بنا جَلَّ وَعَلَا أن جنس الإنسان خاسر إلا من استثناهم الله عَزَّ وَجَلَّ، وهم

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٥١).

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥٣).

الذين أتوا بالشروط الأربعة المذكورة في السورة، والتي جاء تنبيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليها في رسالته هذه.

ولعل الحكمة في تقديم الخسارة على الفوز والفلاح هو أن الغالب على الناس والعياذ بالله الخسارة -عافانا الله من ذلك-، كما دلت على ذلك النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة ومن ذلك:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(١).

وكما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينادي آدم في يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث من ذريتك بعثًا إلى النار، فيقول: يا ربي، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة**»(٢).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.

وهم الذين يستحقون الفلاح والنجاح في الآخرة وهم الذين اتصفوا بالصفات الأربع، وأولها الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٥).

وشروط هذا الإيمان:

أولًا: أن يكون مبني على العلم الذي دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

ثانيًا: أن يكون اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

فهو اعتقاد القلب: أي تصديق بالأمور التي أمر الله جَلَّ وَعَلَا التصديق بها من الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا، والإيمان بالملائكة، والإيمان بكتبه، والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، وهي أركان الإيمان الستة، وسيأتي بيانها.

وقول باللسان: بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وينطق بها لسانه.

وعمل بالجوارح: بأن يعمل بجوارحه بمقتضى ذلك، ولم يعمل فهذا ليس بمسلم، بل هو كافر -عافانا الله وإياكم من ذلك- ومن ذلك ترك الصلاة، فالعمل هو ركن الإيمان ولا يصح الإيمان بدون عمل. وقد نقل إجماع الصحابة ومن بعدهم على ذلك الإمام الشافعي.

يزيد بالطاعة: كما دلت على هذا النصوص كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1]، وكما جاء في «الصحيحين»

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٤).

من حديث عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1]، وهذا لفظ مسلم، وأما الذي جاء في البخاري فقال: «**الإيمان بضع وستون..**» بدون ذكر السبعين، فكلما اتصف الإنسان بعدد أكبر من هذه الشعب كلما زاد إيمانه وكلما قل اتصافه بهذه الشعب كلما ضعف إيمانه.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

كما تقدم أن من الإيمان عمل الصالحات والأعمال الصالحة لها شروط أربعة:

أولًا: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في العمل.

ثانيًا: أن يكون متابعًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لئلا يقع في البدعة.

ثالثًا: أن يكون الإنسان مسلمًا، كما جاء في «الصحيحين» من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله! إني كنت أتصدق في الجاهلية، وأعتق كذا، وكذا، هل هذا ينفعني بعدما أسلمت؟ قال: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**»[2]، أي كتب له ما كان يعمل في الجاهلية مما هو موافق للحق، لكنه لم يكن مؤمنًا عندما أدى هذا العمل فعندما آمن كتب له ما كان يعمل.

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

وكما جاء في «صحيح البخاري» من حديث عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يا رسول الله! إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية، فقال: «**أوفِ بنذرك**»[1].

فلما نذر أن يعتكف، والاعتكاف موافق لما جاء في الشرع أمره بأن يفي بنذره.

ولذلك قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2]، فاشترط الإيمان عند أداء العمل.

رابعًا: أن يبتغي بالعمل وجه الله عَزَّوَجَلَّ ومرضاته والدار الآخرة وثوابه عَزَّوَجَلَّ، ودخول الجنة؛ لأن هناك من يعمل لله ولكن يريد الأجر في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾[3]، فهذا فيمن يعمل العمل ولا يريد أن يحقق مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يريد الجنة، وإنما يريد أن يثاب في الدنيا وهذا غير شرط الإخلاص المتقدم[4].

والأعمال تنقسم إلى قسمين: عمل القلب وعمل الجوارح، فمثال عمل

---

(١) رواه البخاري (٢٠٤٣).

(٢) سورة طه، الآية (١١٢).

(٣) سورة هود، الآية (١٥-١٦).

(٤) لذا بوب صاحب المتن في كتابه «التوحيد» باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

القلب التوكل، الخوف من الله، ورجاءه، والإنابة إليه، ومثال عمل الجوارح الصلاة، والزكاة، والصيام والحج.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

أي تواصوا على الدعوة إلى هذا الحق الذي جاء في الكتاب والسنة، وهذا أمر واجب ويتفاوت الوجوب حسب علم الإنسان ومكانته، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾[1]، فما قال صالحون، وإنما مصلحون، صالحون في ذاتهم ومصلحون لغيرهم.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

وكل هذه الأمور لابد فيها من الصبر والتواصي به كالصبر على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، والصبر عن المعاصي والسيئات التي نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنها، وكذلك الصبر على ما يصاب به من مصائب الدنيا، ولذلك ختم الله جَلَّوَعَلَا هذه السورة بالتواصي بالصبر.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه السورة فيها المطالب العظيمة التي طالب الله عَزَّوَجَلَّ بها عباده فمن عظم هذه السورة أنها اشتملت على المطالب العظيمة من الإيمان بالله وعمل الصالحات والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

---

(١) سورة هود، الآية (١١٧).

وجاء عند البيهقي في «شعب الإيمان»، وعند الطبراني في «معجمه الأوسط» في حديث حماد عن ثابت، عن عبدالله بن حصن الدارمي: «أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا إذا أراد أحدهم أن يودع الآخر تلا عليه هذه السورة ثم بعد ذلك ودعه»[١].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «باب: العلمُ قبل القول والعمل». والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[٢]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

وهذا من فقه علم البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، ويقصد به علم فرض العين الذي يجب على كل مسلم أن يتعلمه.

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾[٣].

أول هذه المسائل أن الله عَزَّوَجَلَّ خلقنا ورزقنا، وفي هذا إشارة إلى توحيد

---

(١) وهذا الإسناد لا بأس به، ولكنه غريب.

(٢) سورة محمد، الآية (١٩).

(٣) سورة المزمل، الآية (١٥-١٦).

الربوبية، ودلت نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد على أفعال الله جَلَّ وَعَلَا، وعن خلقه للكائنات ورزقه لهم، وعن ملكه وتصرفه بالكون، وهذا يتعلق بربوبيته جَلَّ وَعَلَا.

وهناك نصوص تتحدث وتأمر بعبادته وإفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، وهذا يسمى بتوحيد العبادة، وتوحيد الألوهية.

وهناك نصوص تتحدث عن أسماء الله جَلَّ وَعَلَا وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا التوحيد يسمى بتوحيد الأسماء والصفات.

ولم يتركنا هملًا بل أرسل رسولًا فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2].

والأدلة في أن الله قد أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب التي تدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرة.

وجمهور العلماء على التفريق ما بين الرسول والنبي.

فقالوا: أن الرسول هو الذي يرسل إلى أمة بخلاف النبي كآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نبي، وأما نوح رسولًا؛ لأنه أرسل إلى أمه.

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٤).

(٢) سورة النحل، الآية (٣٦).

ومما يدل على هذا ما جاء في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾(١). فذكر الله الرسول وذكر أيضًا النبي.

وكما جاء في حديث الشفاعة الثابت في «الصحيحين»، أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **«اذهبوا إلى نوح فإنه أول رسول إلى أهل الأرض»**(٢).

فهذا فيه أن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول رسول، وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول نبي، وهذا مما يدل على التفريق ما بين الرسول وما بين النبي.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾(٣).

هذا دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أرسل الرسل، ومنهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والذي هو أفضل الرسل جميعًا.

كما أرسل الله إلى فرعون رسول، وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعصى فرعون الرسول فأخذه أخذًا وبيلًا، فأهلكه وعذبه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾(٤)، وهذا عذاب البرزخ، وعذاب يوم القيامة أعظم وأشد.

---

(١) سورة الحج، الآية (٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) سورة المزمل، الآية (١٥-١٦).

(٤) سورة غافر، الآية (٤٦).

فمن أطاع هؤلاء الرسل فإن مآله ومصيره إلى الجنة، وإن من عصى الرسل فإن مصيره ومرجعه إلى النار.

المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[1].

فبعد أن ذكر توحيد الربوبية في المسألة الأولى ذكر هنا توحيد الألوهية؛ فيلزم في توحيد الله بربوبيته توحيده عَزَّوَجَلَّ بألوهيته.

والشرك في اللغة: مأخوذ من المشاركة، وهو اشتراك شيئين في أمر واحد.

واصطلاحًا: جعل شريك لله في ألوهيته أو ربوبيته، أو أسمائه وصفاته.

أقسام الشرك بالله:

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإشراك بالله ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الشرك الأكبر، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: في الربوبية ويكون الشرك في الربوبية في ثلاث أمور:

أولًا: شرك في الاعتقاد؛ كاعتقاد أن هناك من يخلق أو يحيي أو يميت أو يتصرف في هذا الكون أحد مع الله، لأنها من أفعال الله التي يختص بها فلا تجعل لغيره.

الثاني: شرك في الأعمال؛ كتعليق التمائم ولبس الحلقة ونحوها، واعتقاد أنها بذاتها محصلة للمقصود.

---

(١) سورة الجن، الآية (١٨).

الثالث: شرك في الأقوال؛ كالقول بقدم العالم لما فيه من تعطيل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنكار للخالق عَزَّ وَجَلَّ، وكالقول بوحدة الوجود، وهم الذين يزعمون أن الله تعالى هو عين المخلوق ومنه شرك القدرية القائلين بأن الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشية الله وقدرته وإراداته.

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد؛ كاعتقاد أن هناك من يطاع طاعة مطلقة مع الله، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لهم، مع العلم بأنهم خالفوا دين الرسل، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم[1].

الثاني: شرك في الأعمال؛ كأن يُصلي لغير الله، أو يسجد أو يركع لغير الله.

الثالث: شرك في الأقوال؛ فمن دعا أو استغاث أو استعان أو استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فقد أشرك سواء كان هذا الغير نبيًا أو وليًا، أو ملكًا، أو جنيًا، أو غير ذلك من المخلوقات.

النوع الثالث: في الأسماء والصفات، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد؛ كاعتقاد أن هناك من يعلم الغيب مع الله، وهذا يكثر لدى الفرق المنحرفة، كالرافضة وغلاة الصوفية والباطنية عمومًا، حيث يعتقد الرافضة في أئمتهم أنهم يعلمون الغيب، وكذلك يعتقد الباطنية والصوفية في أوليائهم نحو ذلك.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/ ٧٠).

وكاعتقاد أن هناك من يرحم الرحمة التي تليق بالله عَزَّوَجَلَّ فيرحم مثله وذلك بأن يغفر الذنوب ويعفو عن عباده ويتجاوز عن السيئات.

الثاني: شرك في الأعمال؛ كأن يتعاظم على الخلق مضاهاة بالله، وتشبهًا بصفاته، التي منها صفة العظيم.

الثالث: شرك في الأقوال؛ كأن يطلق اسم الرحمن أو الأحد أو الصمد على غير الله، أو يسمي الأصنام بها، أو اتخاذ شريك أو ند مع الله تعالى في صفاته، أو الإلحاد في أسمائه، وذلك بالعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

القسم الثاني: الشرك الأصغر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك أصغر ظاهر، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: في الربوبية ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد؛ كأن يعتقد في شيء أنه سبب وهو ليس سببًا في دفع الضر أو جلب النفع.

الثاني: شرك في الأعمال؛ كمن يعلق التمائم أو يلبس حلقة أو خيطًا ونحوهما، لرفع البلاء، أو دفعه؛ لأن كل من أثبت لله سببًا لم يجعله الله سببًا شرعيًا ولا قدريًا فقد أشرك بالله.

الثالث: شرك في الأقوال؛ كأن ينسب المطر إلى النجوم مع اعتقاد أن الفاعل هو الله عَزَّوَجَلَّ، كأن يقال: إذا سقط النجم الفلاني جاء المطر، وإذا طلع النجم الفلاني جاء المطر، فينسبون ذلك للنجم نسبة سبب والله لم يجعله ذلك سببًا.

النوع الثاني: في الألوهية، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد؛ كأن يعتقد في شيء البركة، والله لم يجعل فيه البركة، لأن طلب البركة لا تكون إلا بأمر شرعي معلوم مثل القرآن، فمن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وأما بأمر حسي معلوم كالعلم فمن بركته نيل الخير الكثير منه والثواب.

فعلم من هذا أن التبرك عبادة لأن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر والثواب والخير من الله، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع.

الثاني: شرك في الأعمال؛ كأن يتمسح بيده بشيء لم يجعل الله فيه البركة، وكتقبيل أبواب المساجد والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، ومثل ذلك التمسح بجدران الكعبة أو مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن ذلك الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل.

الثالث: شرك في الأقوال؛ كالحلف بغير الله سواء بالكعبة أو بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو السماء أو الحياة أو الشرف أو غير ذلك؛ لأن الحلف لا يكون إلا بالله أو صفاته، ولا يجوز الحلف بغيره، وإن اعتقد أن المحلوف به بمنزل الله في العظمة فهو شرك أكبر وإلا فهو شرك أصغر.

النوع الثالث: في الأسماء والصفات، ويكون في ثلاثة أمور:

الأول: شرك في الاعتقاد؛ كالاعتماد على الأسباب الظاهرة التي لم يثبت

كونها سببًا لا شرعًا ولا حسًّا، فإثباتها نوع مشاركة لله في الحكم على هذا الشيء بأنه سبب.

الثاني: شرك في الأعمال؛ كلبس التولة والقلائد التي يقال إنها تمنع العين وما أشبه ذلك؛ فإضافتها إلى السبب الظاهر الذي لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا حسًّا نوع من الشرك الأصغر؛ لأنه أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا؛ فكان مشاركًا لله في إثبات الأسباب.

الثالث: شرك في الأقوال؛ كقول «ما شاء الله وشئت» لأنه شرك غير الله مع الله بالواو.

القسم الثاني: شرك أصغر خفي، وهو على نوعين:

النوع الأول: ما يكون رياء.

والرياء قسمان:

١- شرك أكبر: وهو رياء المنافقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[1].

٢- شرك أصغر: كأن يعمل العبادة يريد من الناس أن يمدحوه عليها، فيكون قصده بالعبادة غير الله، وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه؟ فقال: «**الرياء**»[2].

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤٢).

(٢) رواه أحمد (٣٩/ ٣٩) (٢٣٦٣٠)، وإسناده صحيح.

النوع الثاني: ما يكون سمعة؛ كأن يعمل عملًا لله ثم يحدث الناس ويسمع لعمله، فيعمل العمل ليسمعه الناس فيكون القصد لغير الله وفي الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يرائي الله به**»(١).

المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول، ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقربُ قريب.

والدليل: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٢).

فتوحيد الله وإفراده بالعبادة هو موالاة الله ورسوله ومحبة عباده المؤمنين ومناصرة الموحدين والبراء من الشرك والمشركين، فلا يتم الإيمان والإسلام إلا بذلك، ومن والى المشركين وناصر الكفار وآخاهم وأحبهم فهو منهم؛ كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٢) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٥١).

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1].

وموالاة من حاد الله ورسوله تتمثل في خمسة أشياء:

١ - المحبة والمودة:

الواجب على المسلم محبة الله جَلَّوَعَلَا ومن محبة الله تتفرع أنواع المحبة من محبة الرسول الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجميع الرسل المرسلين وغيرهم من المؤمنين.

واعلم أن المحبة نوعان:

الأولى: المحبة الدينية، وهي التي تقدمت وأنها لا يجوز أن تصرف للكافرين وأعمالهم الكفرية.

الثانية: المحبة الطبيعية، وهي ما كانت ناشئة عن الضيعة والحيلة فهذه لو صرفت للكافر فإنها لا تضر كأن يكون الإنسان أبواه أو أحدهما أو زوجه من الكفار، ولكن يشرط أن يبغض دينهم ويبرأ إلى الله تعالى من أفعالهم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2]، قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه بتوفيقه

---

(١) سورة الممتحنة، الآية (٤).

(٢) سورة القصص، الآية (٥٦).

للإيمان به وبرسوله، قال: «ولو قيل معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك ولكن الله يهدي من يشاء كان مذهبًا»[١].اهـ. وليس بين القولين تنافي، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ثبت في «الصحيحين» أنها نزلت في أبي طالب، عم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه، ويحبه حبًّا شديدًا، طبعيًّا لا شرعيًّا، فلما حضرته الوفاة، وحان أجله، دعاه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الإيمان والدخول في الإسلام؛ فسبق القدر فيه واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر»[٢].

ومن الدلالة على ذلك أن الله تعالى أباح الزواج بنساء أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٣]، الآية، ووجه الدلالة من الآية أنه لابد أن تكون هناك محبة طبيعية بين الرجل وامرأته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٤]، وهذه الآية عامة سواء كانت الزوجة مسلمة أو كتابية.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري» (ص٣٩٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٦).

(٣) سورة المائدة، الآية (٥).

(٤) سورة الروم، الآية (٢١).

وَهۡنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[1]. ووجه الدلالة من الآية أن الله عَزَّوَجَلَّ أوصى بالوالدين بالبر بهما والإحسان إليهما ومعاشرتهما بالمعروف ويلزم في ذلك المحبة الطبيعية كما هو معلوم، فلو كان مما ينهى عنها لنهى الله عنها، وإنما نهى عن طاعتهما في الشرك والمعصية.

ومن الأدلة أيضًا أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ابنه أن يركب معه فأبى، ثم بعد ذلك نادى ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾[2]، فقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ فهذا دليل على محبته له، قال عبدالرحمن السعدي: «ولعله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حملته الشفقة، وأن الله وعده نجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا ففوض الأمر لحكمة الله البالغة»[4]. ولذا لا أعرف أن أحدًا من أهل العلم أنكر هذه المحبة.

وأخرج الإمام مسلم من طريق يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: «زار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال:

---

(١) سورة لقمان، الآيتان (١٤-١٥).

(٢) سورة هود، الآية (٤٥).

(٣) سورة هود، الآية (٤٢).

(٤) «تفسير العلامة السعدي» (ص٤٤٠).

«**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزروا القبور فإنها تذكر الموت**»[١]. وجه الدلالة من الحديث أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما زار قبر أمه بكى وأبكى من حوله واستأذن ربه عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لها هذا لا يكون إلا عن محبة، وشفقة، ورحمة كبيرة بها، فنهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن الاستغفار فقط ولم ينهه عن غيره.

٢ - المناصرة والتأييد:

وهذا النوع منه ما يخرج من الملة كالموالاة المطلقة لهم ومنه ما دون ذلك.

فالموالاة نوعان:

الأولى: وهي الكبرى، وحكمها أنها ردة، كمحبتهم ومودتهم، كالقتال معهم ضد المسلمين، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس: «أنا ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل؛ فأنزل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[٢]. قال ابن حجر: «وفي رواية عمر بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عند ابن المنذر والطبري: «وكان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت، فكتبوا إلى من بقي بمكة

(١) رواه مسلم (٩٧٦).

(٢) سورة النحل، الآية (٢٨).

منهم وأنه لا عذر لهم فخرجوا، فلحقهم المشركون ففتنوهم فرجعوا، فنزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[١]، فكتب إليهم المسلمون بذلك فحزنوا؛ فنزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾[٢]، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقهم، فنجا من نجا، وقتل من قتل»[٣]. وهذا قول أكثر أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين بل نقل غير واحد الإجماع على ذلك.

الثانية: موالاة صغرى، وهذا ذنب من الذنوب مثل ما حصل من حاطب ابن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[٤]، وحكمها أنها كبيرة من كبائر الذنوب، ومثالها: التشبه بهم في زيهم ولباسهم وطريقتهم والإقامة بينهم كما سوف يأتي.

٣ - التشبه بالكفار:

نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التشبه بالكفار، فقال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٥].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (١٠).

(٢) سورة النحل، الآية (١١٠).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٢٦٣).

(٤) سورة الممتحنة، الآية (١).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٥٠)، وإسناده حسن، وقال ابن تيمية في «الاقتضاء»: «إسناده جيد».

والأمور التي ورد النهي عن التشبه بالكفار وغيرهم:

أ- في عباداتهم، وهي أخطر أمور التشبه، وهذا أكبر.

ب- ما يتعلق بالأعياد؛ فالأعياد لأهميتها خُصت بتأكيد النهي عن التشبه بالكفار فيها وخصت أيضًا بقصر المسلمين على عيدين في السنة.

ج- العادات والأخلاق والسلوك فقد ورد النهي عن التشبه بالهدى الظاهر لهم.

أحكام التشبه:

تقدم أنها إما أن تكون كفرًا أكبر أو أصغر أو مكروه، فقد نقل عن بعض السلف النهي عن التشبه بهم في كل شيء حتى في حلق القفا بل حتى في بعض الأحذية.

٤ - الاحترام والتعظيم:

جاء في «السنن» من حديث ابن بريدة عن أبيه أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقولوا للمنافق: يا سيد، فإذا قلتم يا سيد فقد أسخطتم ربكم**»(١).

فهذا يفيد أنه تعظيم له.

وقد جاء عند الدارقطني وحسنه ابن حجر أن أحد الصحابة كان يمشي مع أحد الكفار، وكان هذا الكافر له مكانة؛ فقال أحد الصحابة: هذا فلان وفلان بدأ بالكافر قبل المسلم في ذكر اسمه؛ فقال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل هذا فلان أي المسلم وفلان، الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٧)، رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع.

(٢) رواه الدارقطني (٣٦٢٠).

ولذلك جاء في الحديث الصحيح أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا من أن نبدأهم بالسلام، وكذلك أمرنا أن نضطرهم إلى أضيق الطريق؛ فلا يقف له احترام لكي يمر فهذا النهي يفيد عدم تعظيمهم، والمبالغة في احترامهم، أما مطلق الاحترام فقد جاء به الشرع، فللنفس احترام وإن كانت كافرة، ومن هذا ما ثبت في «الصحيحين» عندما قام الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عندما رأى جنازة، فقيل: إنها جنازة يهودي، ومع ذلك قام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقال: «**إن الموت فَزَعٌ، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا**»[1]؛ لأن الموت له رهبة وهي نفس من الأنفس.

وكذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رأس المنافقين «**أبو حباب**»[2]، يريد به عبدالله بن أبي بن سلول، فذكره بكنيته والكنية فيها شيء من الاحترام.

أما المبالغة في الاحترام والتعظيم فهذا ما جاء النهي عنه.

٥ - كثرة المخالطة والمعاشرة والإقامة في بلاد الكفار:

فمن أقام ببلاد الكفر رغبة واختيارًا لصحبتهم؛ فيرضى ما هم عليه من الدين، أو يمدح دينهم، أو يرضيهم بعيب المسلمين فهذه موالاة كبرى،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١١) ومسلم (٩٦٠)، واللفظ له، من حديث جابر. وفي البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١) من حديث ابن أبي ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، فقالا: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي، فقال: «**أليست نفسًا**».

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٧).

وفاعله كافر عدو لله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[١].

والمخالطة والمعاشرة تجر إلى الاقتداء والتشبه بهم.

ولذلك جاء عند النسائي من حديث أبي نخيلة[٢] عن جرير بن عبدالله البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في ضمن حديث لمن أسلم أو لأحد الصحابة، قال: «**وأن تفارق المشركين**»[٣].

لأن كثرة المخالطة قد تقود إلى الموالاة، وأما مطلق المخالطة فهو غير داخل في ذلك، ومن ذلك دعوتهم إلى الإسلام، وإلى التوحيد، وكما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي إلى المشركين ويدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٨).

(٢) وقيل: أبو نجيلة. وقيل: أبو جميلة.

(٣) رواه النسائي (٤١٧٧).

اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1].

ومعنى يعبدون: يوحدوني.

وأعظم ما أمر الله به: التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة.

وأعظم ما نهى الله عنه: الشرك، وهو دعوة غيره معه.

والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[2].

====================================

الحنيفية هي ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١﴾[5].

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة النساء، الآية (٣٦).

(٣) سورة النحل، الآية (١٢٣).

(٤) سورة النساء، الآية (١٢٥).

(٥) سورة الأنعام، الآية (١٦١).

والحنيفية مأخوذة من الحنف، وهو الميل؛ فالحنيف هو المائل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والمقبل عليه، والمبتعد عن الشرك، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١].

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

واعلم أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أتدري ما حق الله على عباده؟**»، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك**»، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقهم ألا يعذبهم**»[٢].

وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي معبد نافذ مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أرسل معاذ بن جبل إلى أهل اليمن، قال: «**إنك سوف تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»[٣].

والعبادات توقيفية كما هو معلوم، كما في «الصحيحين» عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الأسود وقال: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٣) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك لما قبلتك»[(١)].

والعبادات مبناها على الشرع والاتباع فإن الإسلام مبني على أصلين:

الأول: أن نعبد الله وحده لا شريك له.

الثاني: أن نعبده بما شرعه على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واعلم أن العبادة نوعان:

١- عبادة كونية، وهي الخضوع لأمر الله تعالى في الكون، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾[(٢)]، فهي شاملة للمؤمن وللكافر والبر والفاجر.

٢- عبادة شرعية، وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى، واتبع ما جاءت به الرسل.

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

==

الأصول هي القواعد والأساس الذي يبني عليه الشيء.

ودين الإسلام مبني على هذه الأمور الثلاثة، وهي:

معرفة الإنسان لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) سورة مريم، الآية (٩٣).

ومعرفة الإنسان لدين الإسلام.

ومعرفة الإنسان لرسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإذا عرف الإنسان ذلك فهذا هو الدين الذي أمرنا الله جلا وعلا به؛ لأن الدين مبني على العلم والعمل فلابد من العلم أولًا، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[١]، وفي «صحيح مسلم»: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٢]، ثم العمل بعد ذلك، فمن لم يعمل مطلقًا فهو كافر، كما قال تعالى في أعظم سورة في كتابه: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[٣]، فالمغضوب عليهم هم اليهود الذين علموا ولم يعملوا، وبهذا كفر إبليس، وذلك لامتناعه عن تطبيق أمر الله تعالى بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين. ولذا في «صحيح مسلم»: «عندما يسجد ابن آدم لله تعالى يقول الشيطان: يا ويله، أُمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[٤].

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يسأل عنها المرء في قبره إذا تولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟[٥].

---

(١) سورة محمد، الآية (١٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦).

(٣) سورة الفاتحة، الآية (٧).

(٤) رواه مسلم (٨١).

(٥) جزء من حديث في «الصحيحين»، البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

وأول هذه الأصول هو معرفة الإنسان لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خلقه، والذي أوجده، والذي أرسل إليه الرسل، وأنزل الكتب، والذي كلف بالعبادات، ويوم القيامة يسأله ويحاسبه على ما تقدم، وسلف منه في الحياة الدنيا.

وما أكثر من لا يعرف ربه؛ فالناس ينقسمون إلى أقسام:

الأول: من يجحد الله وينكر وجوده -عافانا الله وإياكم-.

الثاني: من يعرف الله ولكن معرفته غير صحيحة فيعبد الله بغير ما شرع، ويتقرب إليه بغير ما أمر، كاليهود والنصارى والمشركين عباد الأصنام والأوثان، فيجعلونها واسطة بينهم وبين الله.

فمن ينتسب لدين الإسلام ويزعم أنه مسلم ومع ذلك يلجأ إلى غير الله ويستغيث لغير الله ويتقرب لغير الله لا شك أنه لم يعرف الله حق المعرفة، فتجده إذا وقع في أمر لجأ إلى غير الله، وعندما يشعر بالشدة والكرب يلجأ لغير الله، وعندما يريد مطلوب يلجأ إلى المخلوقين.

ولذلك أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ باللجوء إليه وبالتوكل عليه وبدعاءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ورسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القدوة والأسوة في ذلك.

فقد جاء في «سنن أبي داود» أنه إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة[١]، والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢].

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩).

(٢) سورة غافر، الآية (٦٠).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[٢].

وجاء في «الصحيحين» من حديث حصين بن عبدالرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ذكر الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب، بيّن صفتهم فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون**»[٣].

فالشاهد من ذلك أنهم لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية من غيرهم مع أن طلب الرقية جائز، ولكن الأولى أن الإنسان يفوض أمره إلى الله، ويلجأ في كل صغيرة وكبيرة إلى خالقه ومولاه.

ولذلك جاء في «صحيح الإمام مسلم» أن وفدًا من العرب بايعوا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال الراوي، فأسر إليهم كلمة خفية، قال: «**لا تسألوا الناس شيئًا**»، حتى إنه كان بعض هؤلاء النفر يسقط أحدهم سوطه ولا يقول لأحد من الناس ناولني سوطي كل هذا توكلًا على الله ولجوءً إلى الله[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٦).

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٥).

(٣) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

(٤) رواه مسلم (١٠٤٣).

وجاء عند ابن ماجه أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**من يتقبّل لي واحدة أتقبّل له بالجنة؟**»، قال ثوبان: أنا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسأل الناس شيئًا**»[1]؛ فهذا تعليم من الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأمته أن لا يسألوا الناس شيئًا إلا عند الضرورة وبأن يفوضوا أمورهم في كل أحوالهم إلى الله جَلَّ وَعَلَا.



(١) رواه ابن ماجه (١٨٣٧).

الأصل الأول:

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي، ليس لي معبود سواه.

==

الله هو الرب وهو المربي سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو الذي ربى الناس بنوعين من التربية:

الأول: هو تربيتهم بما رزقهم جَلَّوَعَلَا من أصناف الأطعمة والأشربة لتتقوى أجسامهم وأبدانهم لعبادته.

الثاني: هو تربيتهم الإيمانية وتربيتهم الإسلامية بأن بعث الرسل إليهم وأنزل الكتب التي تبين المنهج الصحيح الذي يجب أن يعبدونه به[١].

والرب على قسمين فيما يتعلق بإطلاقه كلمة «رب»:

القسم الأول: أن يطلق مفرد فيقال الرب غير مقيد بشيء؛ فهذا لا يكون إلا على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا ينصرف إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

القسم الثاني: أن يطلق الرب مقيدًا، فيقال رب الدابة ورب الإبل ورب الأسرة ونحو ذلك؛ فهذا جائز إطلاقه على غير الله تعالى في حالة التقييد.

قوله: «وهو معبودي ليس لي معبود سواه».

أي أن ربي وهو الله المعبود وحده لا شريك له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكما أنه واحد في ربوبيته، وهو إفراد الله بأفعاله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك توحيده في ألوهيته، وهو

---

(١) ينظر «تيسير الكريم الرحمن» عن تفسيره لسورة الفاتحة.

إفراد الله بالعبادة فهو المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك له والدليل بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[١].

فالحمد لغة: الثناء، وشرعًا: الثناء على الله تعالى بصفاته ونعوت جلاله وتكرار ذلك تمجيد لله، هو إثبات الكمال للمحمود، وهو إثبات صفات الكمال للمحمود، كما جاء في حديث العلا بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة عند مسلم أن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: مجدني عبدي...**»[٢].

أما الشكر فلا يكون إلى على نعمه، وكما يكون الحمد بذلك أيضًا بإنعامه على عباده بأنواع النعم، فيكون بإسداء النعم ويكون باللسان وبالقلب والجوارح، بخلاف الحمد فإنه يكون باللسان، فالحمد أعم من وجه، كما أن الشكر أعم من وجه آخر.

والحمد ينقسم إلى قسمين:

الأول: الحمد الذي لا يكون إلا لله جَلَّ وَعَلَا، وهو ما تقدم ذكره.

وهو إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال المتصف بها الرب وحده لا شريك له.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٢).

(٢) رواه مسلم (٣٩٥).

وهذا من حيث الحكم على قسمين:

الأول: حمد واجب، ومنه ما يكون في الصلاة، فإن قراءة الفاتحة فرض فيها، كما هو معلوم.

الثاني: حمد مستحب، فكلما زاد الإنسان في حمد ربه وشكره لخالقه ومولاه وثناؤه على ربه عَزَّوَجَلَّ كلما حقق العبودية.

الثاني: حمد يكون للمخلوق، وهذا لابد أن يتوفر فيه شرطان:

الأول: أن يكون هذا المحمود مستحق لهذه الصفات، حتى لا تكون من قبيل الكذب.

الثاني: أن لا يكون في ذلك غلو ومبالغة حتى تنسب الحمد الذي يكون لله له.

وقد جاء في حديث مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن أبيه أنه عندما جاء وفد من العرب من بني عامر قالوا للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنت سيدنا وابن سيدنا وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان**»[1]. وهذا حمد منهم لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومع أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو سيد ولد آدم، ولا شك أنه أفضلهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن خشي أن يجر إلى المبالغة فيقعوا في الغلو.

قوله: «وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم».

فهو الرب المألوه المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل ما سواه عالم، أي: مخلوق، فهو ربهم أجمعين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه أحمد (٢٦/ ٢٣٧) (١٦٣١١).

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته، ومخلوقاته، ومن آياته: الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[2].

==

الآية هي الدلالة والعلامة.

ولا شك أن آيات الله جَلَّ وَعَلَا دالة على وجوده وعلى كماله وعلى عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وآيات الله تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: **الآيات الكونية**؛ وهي المخلوقات في هذا الكون، وهي نوعان:

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

الأول: في الأنفس.

الثاني: في الآفاق.

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[١].

القسم الثاني: **الآيات الشرعية**؛ وهي ما أنزل الله على الأنبياء والرسل من الكتب، وهي نوعان:

الأول: آيات محكمة.

الثاني: آيات متشابهة.

كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ** ﴾[٢].

وقوله: «ومخلوقاته».

ولا شك أن هذه المخلوقات دالة على وجود الله عَزَّوَجَلَّ وكل عاقل يقول لأصغر الأشياء لابد من صانع لها فكيف بهذا الكون بما فيه من أفلاك وأجرام وبشر وجن ونبات وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾** ﴾[٣].

ولذلك جاء في «الصحيح» أن جبير بن مطعم عندما جاء يفتدي بعض

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٣) سورة الطور، الآية (٣٥-٣٦).

المشركين الذين وقعوا في الأسر في غزوة بدر وسمع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقرأ وسمع هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾، قال: كاد قلبي أن يطير[1].

وكذلك دلالة الفطرة فالله فطر الناس على الإيمان به فنجد الإنسان إذا وقع بشيء يلجأ إلى الله سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ﴾[2].

قوله: «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر».

ولا شك أن تباين الليل والنهار وتعاقبهما آية ودلالة على وجود الله وعلى عظمة الله.

فالليل لسكن الناس والنهار لمعاشهم.

وأن هذه الشمس لما جعلها الله في هذا المكان في القرب والبعد عن الأرض آية وحكمة فلو كانت أقرب لاحترقت الأرض، ولو كانت أبعد لجمدت الأرض.

والقمر آية من آيات الله، ودلالة على عظمته عَزَّوَجَلَّ، وثبات منازل القمر من بديع خلقه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).

قوله: «ومن فيهن وما بينهن».

فالسماوات سبع وهذه الأجرام والأفلاك والمجرات تحت السماء الدنيا وكذا الأرضون السبع، ومن فيهن من جملة المخلوقات.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[(٢)].

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

والرب: هو المعبود.

والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[(٢)].

فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر.

===================================

فالرب هو المعبود فيلزم من توحيد الربوبية وهو إفراد الله بأفعاله، وتوحيد الألوهية وهو إفراد الرب والإله الحق بالعبادة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾، فتتقونه وتخافونه وتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢١-٢٢).

(٢) سورة الجن، الآية (١٨).

قال ابن كثير: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، ولذلك ينكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه على من دعا أو عبد غيره ويدعو لعبادته وحده فهو المستحق للعبادة لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾(١).

فالدعاء عبادة من أعظم أنواع العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه جَلَّوَعَلَا، وكما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾(٢).

والدعاء ينقسم إلى قسمين:

الأول: دعاء مسألة:

كأن يقول الإنسان: رب اغفر لي وارحمني واهدني.

الثاني: دعاء عبادة:

وهي عندما يأتي الإنسان بالطاعات كالصلاة والصيام والحج، يكون قد دعا ربه جَلَّوَعَلَا دعاء عبادة؛ لأن هذه العبادات سبب في رفع الدرجات وحصول المغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

فعندما يصلي الإنسان كأنه يدعو ربه بأن يغفر له بهذه الصلاة، وأن يرحمه، وكذلك الصيام، كأنه يدعو ربه بأن يجزيه على صيامه ويدخله الجنة من باب الريان الذي أعده الله للصائمين.

---

(١) سورة الجن، الآية (١٨).

(٢) سورة غافر، الآية (٦٠).

والدعاء من حيث الحكم على قسمين:

الأول: دعاء واجب:

وهو أن يدعو الإنسان ربه أن يغفر له وأن يهديه وأن يدخله الجنة، ولا يعقل أن إنسان يؤمن بالله ولا يدعوه لذلك المؤمن في كل ركعة في الصلاة يدعو الله الهداية للصراط المستقيم بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[1]، وكذا في الجلسة بين السجدتين بقوله: «ربي اغفر لي»، وهي من واجبات الصلاة.

وكذا إذا وقع الإنسان في معصية فيجب عليه أن يتوب ويدعو الله أن يغفر له تلك الخطيئة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥﴾[2].

الثاني: دعاء مستحب، وهو أن يدعو الإنسان ربه ويكثر من ذلك.

قوله: وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**»[3].

والحديث ضعيف، ومعناه صحيح أن الدعاء مخ العبادة أي أصل العبادة وجاء عند أهل السنن والإمام أحمد من حديث ذر بن عبدالله الزهري عن يُسيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٣٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧١).

«**الدعاء هو العبادة**»[١]. قال أبو عيسى: «حسن صحيح».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٢].

ففي الآية الكريمة أولًا: الدعاء عبادة؛ لقوله بعد الأمر بالدعاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فدل على أن الدعاء عبادة، وكما جاء في الحديث «**الدعاء هو العبادة**».

ثانيًا: أن فيها الأمر بالدعاء وهو دليل على الوجوب.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٠)، وأحمد (٣٠/ ٢٩٧) (١٨٣٥٢).

(٢) سورة غافر، الآية (٦٠).

قال:

ودليل الخوف: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[١].

====================================

ومن العبادات العظيمة أيضًا الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، والخوف منه فرض، ولا يعقل أن المخلوق لا يخشى من الخالق سبحانه، والذي لا يخاف من ربه هذا لا يؤمن به عَزَّوَجَلَّ، ولذا قال تعالى عن المؤمنين: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٢].

والخوف من الله تعالى على درجتين:

الأولى: الخوف الباعث على الإتيان بالأركان والواجبات وترك المعاصي والسيئات، قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: «سمعت ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله؛ فما زاد على ذلك فهو غير محتاج»[٣].

الثانية: كماله، وهي بفعل المستحبات وبترك المكروهات.

والخوف من الله أيضًا على قسمين:

١- مشروع، وهو ما تقدم.

٢- ممنوع، وهو الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط، فقد أخرج عبدالرزاق

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٧٥).

(٢) سورة النحل، الآية (٥٠).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٢١٤).

والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» وغيرهم، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»[(١)].

وقد جاء من أكثر من وجه عنه وبعضها ثابت، ولذا قال ابن كثير في «تفسيره» وهو صحيح إليه بلا شك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[(٢)].

قال ابن القيم: «ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه، قال: المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه.

قال قتادة: «يعظمهم في صدوركم فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم»، فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان».

وقال أيضًا: «الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٨٧٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٧٥).

(٣) انظر: «فتح المجيد» (٣١٩-٣٢٠).

والخوف من غير الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

١- الخوف العادي وهو الطبيعي كالخوف من عدو أو حيوان مفترس ونحو ذلك، فهذا غير مذموم، وهو من طبيعة الإنسان وجبلته ما لم يخرج عن حده بالمبالغة فيه، فيكون مذمومًا، ولا شك أن الإنسان إذا تحلّى بالشجاعة فهو أفضل وأكمل.

٢- الخوف المذموم وهو نوعان:

أ- الخوف من المخلوق كما يخاف من الخالق، وهذا شرك أكبر، فمن خاف من مخلوق أن يدخله النار مثلًا أو يصيبه بمرض أو فقر؛ فقد وقع في الكفر والعياذ بالله تعالى.

قال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾[2].

وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان، يخافون ويُخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

---

(١) سورة هود، الآيتان (٥٤ - ٥٥).

(٢) سورة الزمر، الآية (٣٦).

ب- أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بعض الناس فهذا محرم، وهو نوع من الشرك المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[(١)].

وفي الحديث: **«إن الله يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشيت الناس، فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى»**[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات (١٧٣-١٧٥).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (٣١٨-٣١٩).

قال: ودليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[(١)].

====================================

الشرح:

الرجاء عبادة عظيمة وهو التعلق بالله تعالى، ورجاء ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وهو على قسمين:

الأول: رجاء الله وحده:

ومنه ما هو:

١- **واجب**: وهو أن يرجو ربه في تحقيق مرضاته بدخوله الجنة، وإعاذته من النار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا

---

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٨).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾(١).

ولذا الذين لا يرجون الله تعالى هم الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾(٣).

٢- **مستحب**: وهو أن يرجو ربه في كل شيء صغيرًا أو كبيرًا وهو من كمال التعلق بالله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: رجاء غير الله من المخلوقين:

اعلم وفقك الله تعالى أن الأولى بالعبد أن لا يرجو إلا ربه تعالى فلا يقول لمخلوق: «أرجوك»؛ لأن هذه الكلمة من أعمال القلوب.

وله حكمان:

١- **جائز**: وهو أن يرجو الإنسان ما عند المخلوق فيما يقدر عليه في حال حياته.

---

(١) سورة فاطر، الآيتان (٢٩ - ٣٠).

(٢) سورة يونس، الآيتان (٧ - ٨).

(٣) سورة يونس، الآية (١٥).

كأن يرجو من شخص أن يسلفه مال أو بعض حاجة من حاجات الدنيا.

٢- ممنوع: وهو أن يرجو ما يكون لله من المخلوق فيجعله كالخالق وهذا شرك وممنوع.

قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى المجموعة له عن قول الإنسان «أرجوك»؛ فقال: «هذا جائز لكن الأولى من باب الأدب أن لا يطلق هذه العبارة على المخلوق».

كل هذا تحقيقًا للتوحيد وسد الأبواب التي تفضي إلى الشرك، وكذلك العبارات الشركية والعبارات التي فيها سوء أدب مع الله، كعبارة «خالص شكري»، و«كامل تحياتي»؛ فخلاصة الشكر ولبه وأعلاه لله، فعلى هذا لا تجعل للمخلوق ومثلها كامل تحياتي؛ لأن التحيات هي التعظيمات؛ فإذا قال بشر مثله لكم كامل تحياتي فمعناه كامل تعظيماتي، وهذا لا يجوز لأن كامل التعظيم إنما يكون لله وحده.

ورجاء غير الله في المخلوقين له حكمان:

١- مكروه، وهو أن يرجو الإنسان ما عند المخلوقين فيما يقدر عليه، كأن يرجو من شخص حاجة من حاجات الدنيا في وسع البشر قضائها.

٢- ممنوع، وهو أن يرجو ما يكون لله من المخلوقين وهذا شرك وممنوع.

ودليل التوكل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾[١].

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[٢].

==

فأمر الله عَزَّوَجَلَّ في الآية أن نتوكل عليه إن كنا مؤمنين وهذا يدل على أن الإيمان لا يتحقق إلا بذلك.

قال ابن القيم: «فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان؛ فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه».

وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ۝٨٤﴾[٣]؛ فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا كان دليلًا على ضعف الإيمان ولابد، والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية، فظهر أن التوكل أصل جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وإن منزلته منها كمنزلة الجسد في الرأس، حكمًا لا يقوم الرأس الأعلى البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل»[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٣).

(٢) سورة الطلاق، الآية (٣).

(٣) سورة يونس، الآية (٨٤).

(٤) «فتح المجيد» (ص٣٢٧).

والتوكل هو: اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ مع بذل الأسباب.

قال ابن الأثير: «يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان: إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلانًا: إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه»[١].

وللتوكل ثلاث درجات:

١- التوكل على الله تعالى في الأمور الأساسية الكبيرة.

٢- التوكل على الله في كل صغيرة وكبيرة.

٣- التوكل على الله تعالى في ترك بعض الأمور المباحة توكلًا على الله تعالى مثل ترك طلب الرقية والكي كما جاء في الحديث من طريق مجاهد عن عقار بن المغيرة بن الشعبة، عن أبيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل**» أخرجه أحمد، والترمذي[٢]، وقال: «حسن صحيح»، وأنا أذهب إلى ذلك وإن كان في إسناده بعض الجهالة، ويشهد له ما في «الصحيحين» من حديث ابن عباس في صفة السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[٣]، وهذا من كمال توكلهم على الله تعالى.

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢٢١).

(٢) رواه أحمد (٣٠/ ١١٦) (١٨١٨٠)، والترمذي (٢٠٥٥).

(٣) سبق تخريجه.

والتوكل على غير الله ينقسم من حيث الحكم إلى قسمين:

١- **شرك أكبر**: وهو عندما يتوكل على المخلوق كما يتوكل على الخالق عَزَّوَجَلَّ؛ فهو شرك أكبر كما تقدم.

وهو عندما يصرف أساس وأصل التوكل للمخلوق فيتوكل على شخص في أن يدخله الجنة أو أن يعيذه من النار.

٢- **شرك أصغر**: وهو أن يتعلق الإنسان بشيء ويميل بقلبه إليه.

التواكل والوكالة:

١- **أما التواكل**: وهو أن يزعم الإنسان أنه متوكل ولكن لا يبذل الأسباب فهذا متواكل، وليس توكل.

٢- **وأما الوكالة**: وهي أن تنيب شخصًا في قضاء عمل من الأعمال فهذا مشروع.

مسألة:

اختلف العلماء في قول «أنا متوكل على الله ثم عليك».

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «يمنع من ذلك»، وبعض أهل العلم أجازوا أن يقول الإنسان أني متوكل على الله ثم عليك.

وسألت الشيخ عبدالرزاق العفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال: «إن هذا جائز»، ووجهه من أجاز ذلك أن التوكل هنا بمعنى الوكالة.

والأقرب ما ذهب إليه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأن هذا لا يجوز؛ لأن التوكل عبادة لا تصرف إلا إلى الله تعالى، ولا تصرف إلى المخلوق.

وأما من يرى أنها هنا بمعنى الوكالة؛ فيقال الواجب تغيير هذا اللفظ المستعمل فيقال مثلًا: أنا قد وكلتك بالنيابة عني في هذا الأمر ونحو ذلك.

وبعض الناس لا يفهم المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1]، ويغلط فيها فيقول معنى ذلك يا أيها النبي حسبك الله يعني كافيك والمؤمنين أيضًا يكفونك. وهذا باطل والصحيح يا أيها النبي حسبك الله وحسب المؤمنين أيضًا أي أن الله يكفيك ويكفي المؤمنين، وقد نبه الإمام ابن القيم على ذلك في كتابه «زاد المعاد».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأولياء الله وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابة وتنفيذ أوامره، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفظ حاله مع الله فارغًا عن الناس، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش؛ فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يقولون أنفسهم في المتالف والمهالك: معتمدين على الله أن يسلمهم، ويظفرهم بمطالبهم؛ فأفضل التوكل: التوكل في الواجب - أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس، وأوسعه وأنفعه التوكل في

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٤).

التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم، ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف.

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوبًا له مرضيًا كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطًا مبغوضًا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحًا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه، إن لم يستعن به على طاعاته، والله أعلم»[(١)].

وقال: «ومن درجات التوكل التفويض وهو روح التوكل ولُبُّهُ وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه ورحمته وتمام كفايته، وحسن ولايته له وتدبيره له... فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه مع عجزه عنها، وجهله بوجود المصالح فيها وعلمه بكمال علم من فوض إليه وقدرته وشفقته»[(٢)].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ١٢٢).

دليل الرغبة والرهبة والخشوع:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[(١)].

==

الرغبة: هي الإرادة والمحبة، قال تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[(٢)] أي تريدون وتحبون ذلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾[(٣)] أي لا يحبون ذلك ولا يريدونه.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[(٤)] أي من لا يرد ملة إبراهيم ولا يحب الانتساب إليها لا يكون إلا سفيهًا.

وهي على قسمين:

١- الرغبة التي لا تكون إلا لله تعالى وهي واجبة، وهي الرغبة بما عنده من نعيم وسعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾[(٥)]، فعلى العبد أن يكون متطلعًا إلى ما عند

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

(٢) سورة النساء، الآية (١٢٧).

(٣) سورة التوبة، الآية (١٢٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٣٠).

(٥) سورة التوبة، الآية (٥٩).

الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾[(١)]، ولهذا أثنى الله تعالى على عبده ونبيه زكريا وزوجه برغبتهم إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[(٢)].

ولا يخفى أن هذه الرغبة فرض على العبد وكلما عظمت رغبته إلى ربه كلما زادت عبوديته إلى خالقه ومولاه وكان أقرب إلى تحقيق التوحيد، وكلما تقصده دلّ هذا على نقص توحيده وضعف إيمانه أكيده؛ كما أنه لا يخفى أن هذه الرغبة بصعبها تعلق بالله تعالى، ومحبة وتعظيم له.

٢- الرغبة العادية وهي التي تكون للمخلوق كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾[(٣)]، وكما في الحديث الصحيح: «**لا ترغبوا عن آبائكم**»[(٤)].

والرهبة: هي الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهو خوف مقرون بعمل القلب والجوارح.

والخشوع: هو الذل والخضوع والتعظيم لمن خشعت له، ومحله القلب ويظهر على الجوارح.

---

(١) سورة الشرح، الآية (٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

(٣) سورة النساء، الآية (١٢٧).

(٤) رواه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢).

وفي أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[(١)].

وهو فرض على العبد لربه عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[(٢)].

قال ابن مسعود: «ولذا قيّد الله تعالى الفلاح بأمور منها، الخشوع، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[(٤)]، أي لله تعالى، وليس لغيره، ولذا قال الجنيد: «الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب».

وينقسم إلى قسمين:

١- خشوع الباطن وهو القلب.

٢- وخشوع الظاهر وهو الجسد.

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إياكم وخشوع النفاق**»، فقيل له: وما خشوع النفاق، قال: «**أن ترى الجسد خاشعًا، والقلب ليس خاشع**»، وهو على درجات:

الأولى: وهي أصل الخشوع؛ فهذا فرض لابد منه؛ لأنه لا يمكن للعبد أن

---

(١) سورة طه، الآية (١٠٨).

(٢) سورة الحديد، الآية (١٦).

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان (١-٢).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

يكون مؤمنًا وليس عنده أصل الخشوع لله تعالى، ولذا من موجبات الخشوع والانقياد فالذي لا يخشع لا ينقاد إلى ربه ومولاه، ومن كان بهذه الصفة فهو ليس بمسلم، وهذه الدرجة أي أصل الخشوع هي درجة الظالم لنفسه، وهو المفرط في فعل بعض الفرائض والمرتكب لبعض المحرمات.

الثانية: وهي أن يأتي بالخشوع ولكن لا يأتي بكماله، وهي درجة المقتصدين؛ فالمقتصد هو المؤدي للفرائض والواجبات والتارك للمحرمات.

الثالثة: كمال الخشوع[1]، وهو السابق بالخيرات، والذي يزيد على الذي قبله، وأداء المستحبات وبترك المكروهات.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[2].

فأثنى عليهم بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[3].

---

(١) وهنا تقسيم آخر لدرجات الخشوع، ينظر: «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٣).

(٢) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

ودليل الخشية: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[١].

==

والخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٢]، فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية**»[٣].

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل له حالتان:

أحدهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية.

ومنه: انخشى الشي، والمضاعف، المعتل، أخوان، كتقضي البازي وتقضض.

فصاحب الخوف: يلتجئ إلى الهروب والإمساك، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم»[٤].

فإذا خاف من إنسان لا يدري هل هو قادر عليه أم لا؛ فهذا خوف وإذا علم أنه قادر عليه فهذه الخشية.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٥٠).

(٢) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٣) رواه مسلم (١١٠٨).

(٤) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٨).

ودليل الإنابة، قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾(١) الآية.

==

الإنابة: هي اللجوء والرجوع إلى الله تعالى، والاستسلام له مع دعائه والابتهال إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾(٢).

قال الراغب: «الإنابة: الرجوع عن طريق الضلال إلى الهدى.

والأوبة: رجوع القلب إلى الحق والوقوف عليه.

والاستغفار: طلب الغفران قولًا وفعلًا».

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾(٣)، أي كثير الرجوع إلى الله تعالى، ومثله قوله تعالى عن سليمان: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾(٤).

فلا تكون إلا لله ومن ذلك الرجوع عن المعاصي والسيئات والرجوع لفعل الطاعات، وهي أعلى من مقام التوبة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾(٥).

---

(١) سورة الزمر، الآية (٥٤).

(٢) سورة الروم، الآية (٣٣).

(٣) سورة ص، الآية (١٧).

(٤) سورة ص، الآية (٣٠).

(٥) سورة الزمر، الآية (٥٤).

وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه.

والإنابة بعد التوبة، قال ابن القيم: «وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها، فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾[1]، وأخبر أن آياته إنما يتبصر بها ويتذكر أهل الإنابة؛ فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[2].

حكمها: واجبة كما قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾.

فضلها: قال تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖ﴾[3].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾[4].

وهي على قسمين:

قال ابن القيم: «والإنابة إنابتان : إنابة لربوبيته، وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة هود، الآية (٧٥).

(٢) سورة ق، الآيات (٦ – ٨).

(٣) سورة ق، الآيات (٣١ – ٣٤).

(٤) سورة الزمر، الآية (١٧).

ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾[(١)]؛ فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[(٢)] ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثانية إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، والمنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته والرجوع إليه في كل وقت المتقدم إلى محابه»[(٣)].

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٣).

(٢) سورة الروم، الآية (٣٣).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٥).

ودليل الاستعانة، قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[1]، وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله».

==

الاستعانة: طلب العون. وسؤال الله العون على مرضاته وهي على قسمين:

١- ما يكون للخالق عَزَّوَجَلَّ وهي نوعان:

أ- واجبة، بأن يستعين بالله وحده، وأن يتعلق بخالقه ومولاه في جميع شؤونه ومن ذلك العبادة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

ب- مستحبة، بأن يستعين بالله في كل شأن صغير أو كبير، وهو من كمال التوحيد.

٢- ما يكون للمخلوق، وهو على قسمين:

أ- الاستعانة المحرمة.

كأن يستعين بإنسان بشيء ليس في وسعه أو خارجًا عن نطاق قدرته كأن يستعين بمخلوق في إدخاله الجنة أو في إعاذته من النار، ومن ذلك قول البوصيري في بردته:

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي — وإلا فقل يا زلة القدم

فيخاطب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فماذا ترك لله والعياذ بالله!!

ولذلك كل الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لا يشفعون

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٥).

لأحد من المخلوقين إلا بعد أن يستأذن من الله جَلَّوَعَلَا ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، لمن يشاء جَلَّوَعَلَا، ويأذن له بالشفاعة ويرضى عنه ويرضى عن المشفوع له.

ولذلك في «صحيح مسلم» أن الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما استأذن من ربه جَلَّوَعَلَا أن يستغفر لأمه نهاه الله عَزَّوَجَلَّ لأنها ماتت على الشرك في الجاهلية[2].

وكما جاء في «صحيح مسلم» من حديث ثابت عن أنس أن أعرابي قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: «**أباك في النار**»، فكأنه أخذ في نفسه فعندما ولى دعاه الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال: «**إن أبي وأباك في النار**»[3].

فإن والده عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مات في الشرك في الجاهلية، وكذلك والدته فلما طلب من ربه عَزَّوَجَلَّ أن يستغفر لهما لم يأذن له، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[4].

ب- الاستعانة الجائزة:

---

(١) سورة النجم، الآية (٢٦).

(٢) رواه مسلم (٩٧٦).

(٣) رواه مسلم (٢٠٣).

(٤) سورة التوبة، الآية (١١٣).

وهي ما جمعت ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الذي استعين بهذا الإنسان من أجله أن يكون في وسعه وفي قدرته.

ثانيًا: أن يكون المستعان به حيًّا؛ لأن الاستعانة بالأموات شرك بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾[1].

ثالثًا: أن يكون المستعان به موجود لا غائب فإذا لم يكن حاضر وكان غائب واستعان به؛ فهذا تشبيه له بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: وفي الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**».

هذا الحديث هو حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»[2].

وهذا الحديث الذي أشار إليه المصنف عندما يتأمل فيه الإنسان يجد فيه

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان (٥ - ٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦).

غاية التوحيد وغاية الإخلاص والإيمان والتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، وغير ذلك من المعاني العظيمة، وذكر عن أبي الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إني تأملت هذا الحديث فكاد عقلي أن يطير.

من عظم المعاني التي جاءت فيه، وخلاصته أن الإنسان عليه أن يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ ويلجأ إليه في جميع أموره ويفوض أمره إلى الله.

فأمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس أنه إذا استعان فعليه أن يستعين بالله جَلَّ وَعَلَا، لأنه سيجد الإعانة والنصرة والتأييد، لأن الله هو القادر على كل شيء وبيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل شيء.

ودليل الاستعاذة، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾[٢].

==

الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام، ولهذا يُسمى المتعاذ به، معاذًا وملجًا؛ فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، واعتصم به واستجار به والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم القلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والاطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لجلب الخير»[٣].

والاستعاذة على قسمين:

١- استعاذة بالخالق.

٢- الاستعاذة بالمخلوق.

فأما الاستعاذة بالخالق فهي على درجتين:

الأولى: استعاذة واجبة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾[٤]، وقال

---

(١) سورة الفلق، الآية (١).

(٢) سورة الناس، الآية (١).

(٣) انظر: «فتح المجيد» (١٤٥).

(٤) سورة الفلق، الآية (١).

أيضًا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾(١)؛ فأمر الله تعالى عباده أن يستعيذوا به، والأمر يفيد الفرض والوجوب، ولا يعقل من إنسان يؤمن بالله تعالى ولا يستعيذ به مما يكره، ومن أعظم ما يستعاذ منه الاستعاذة من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾(٢)، وهذا فيما يتعلق بأصل الاستعاذة.

وأما كمالها وهي الدرجة الثانية، **استعاذة مستحبة**: وهي أن يستعيذ الإنسان بالله عَزَّوَجَلَّ في كل شيء كبيرًا كان أو صغيرًا، وهذا من كمال التوحيد ومن تحقيقه.

روى مسلم في «صحيحه» أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من هذا المنزل**»(٣).

الثاني: الاستعاذة بالمخلوق:

ذهب أهل العلم إلى أن الاستعاذة لا تكون إلا بالله تعالى، قال أبو العباس بن تيمية: «وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق.

قلت: وبهذا استدل الإمام أحمد على أن كلام الله تعالى غير مخلوق؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ بكلمات الله التامات، والاستعاذة لا تكون بمخلوق.

---

(١) سورة الناس، الآية (١).

(٢) سورة فصلت، الآية (٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

وأما ما جاء في مسلم (٣٦/ ١٦٥٩) من حديث ابن أبي عدي عن شعبة سليمان، عن إبراهيم التميمي، عن أبيه، عن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: «أعوذ بالله»، قال: فجعل يضربه، فقال: «أعوذ برسول الله»، فتركه.

فالجواب عن ذلك: أن مسلمًا رواه من طريق عبدالواحد بن زياد والثوري وأبو عوانة كلهم عن سليمان الأعمش به، وليس عندهم هذا اللفظ.

ولذا قال بعد أن رواه من طريق ابن أبي عدي قال: وحدثنيه بشر بن خالد أن محمد -يعني ابن جعفر- عن شعبة بهذا الإسناد، ولم يذكر قوله: «أعوذ بالله، أعوذ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فتبين أن هذه اللفظ فيها نظر، ولا شك أن محمد بن جعفر أوثق بكثير في روايته عن شعبة من ابن أبي عدي؛ فكيف وقد وافقه رواية الجماعة. والله تعالى أعلم.

ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(١).

==

الاستغاثة: هي طلب الغوث ولا تكون إلا عند الشدة، بخلاف الاستعانة، وهي أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

والاستغاثة نوعان:

الأول: الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولها حكمان، وهذا فيما يتعلق في أصلها أي في جنس الاستغاثة؛ لأنه لا يعقل من شخص يؤمن بالله ولا يستغيث به ولا مرة في حياته.

١- **واجبة:** وهي الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ.

٢- **مستحبة:** وهي الاستغاثة في كل صغيرة وكبيرة، وهذا من تحقيق التوحيد.

الثاني: الاستغاثة بالمخلوق:

وهي لا تجوز إلا بشروط ثلاثة:

١- أن يكون فيما يقدر عليه مثله ما ذكر الله عن موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٩).

(٢) سورة القصص، الآية (١٥).

٢- وأن يكون حيًّا؛ لأن الاستغاثة بالأموات شرك أكبر.

٣- وأن يكون حاضر لأن الاستغاثة بالغائب شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

ودليل الذبح، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[١].

ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله»[٢].

==

الذبح لله عبادة عظيمة وقد شرعها الله جَلَّ وَعَلَا لعباده، وأول ما شرع ذلك كان لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أراد أن يذبح ابنه لله عَزَّ وَجَلَّ فأبدله الله ذلك الذبح بذبح عظيم بكبش كما قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[٣]. ثم أصبحت هذه العبادة مشروعة لمن أتى من بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي مشروعة لهذه الأمة.

والذبح على قسمين:

أولاً: الذبح لله عَزَّ وَجَلَّ:

وهو عبادة مشروعة، وتحقيق للتوحيد وتعظيم لله عَزَّ وَجَلَّ، ولها حكمان:

١- **واجبة**: كذبح الهدي للحاج.

٢- **مستحبة**: كالأضحية للقادر؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي...**»[٤]، فعلق ذلك بالإرادة، فدل على الاستحباب.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان (١٦٢-١٦٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٧٨).

(٣) سورة الصافات، الآية (١٠٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٧٧).

وكذا ما يقع إكرام لضيف لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(١).

وكذا وليمة عرس لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أولم ولو بشاة**»(٢).

ثانيًا: الذبح للمخلوق:

بأن تكون عبادة يقصد بها تعظيم المذبوح له، والتقرب إليه، وليس على سبيل الضيافة، وهذا شرك أكبر، أو أن يذكر اسم غير الله فتكون ذبيحة شركية أيضًا، ولا يجوز أكلها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾(٣).

جاء في «مصنف ابن أبي شيبة»، وكتاب «الزهد» للإمام أحمد، والخطيب البغدادي كلهم من حديث طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «**مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله؛ فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّ وَجَلَّ، فضربوا عنقه فدخل الجنة**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٠٣٨)، وأحمد في «الزهد» (٨٤).

وما أكثر من يذبح لغير الله سواء للمخلوقين كالذبح للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو للصحابة، أو للأولياء والصالحين، كمن يذبح للبدوي[١] أو العيدروس وغيرهما.

وكل هذا من الشرك بالله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[٢].

(١) هذا الرجل لم يثبت صلاحه، وإنما يزعم ذلك له الجهال.

(٢) سبق تخريجه.

ودليل النذر، قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾[(١)].

==

النذر: هو الإيجاب وهو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئًا ليس واجبًا عليه شرعًا.

وهي عبادة امتدح الله عَزَّوَجَلَّ الموفين به، والله تعالى لا يثني إلا على خير، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[(٢)]، فدل على أنها طاعة مع أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن النذر؛ فقال: «**لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[(٣)].

ومن شرط النذر أن يكون طاعة وليس في معصية، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان من أعياد الجاهلين، وإذا كان معلقًا بحصول شيء فعلى صاحبه أن لا يعتقد أن للنذر تأثيرًا في حصوله.

وأما النذر لغير الله تعالى فهو من الشرك الأكبر.

كأن يقول: لفلان علي نذر، أو لهذا القبر علي نذر، أو لجبريل علي نذر، يريد بذلك التقرب إليهم وما أشبه ذلك.

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقًا، ولا تجب فيه كفارة، بل هو شرك تجب التوبة منه.

---

(١) سورة الإنسان، الآية (٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٠).

(٣) رواه مسلم (١٦٣٩).

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة: وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

==

الإسلام مأخوذ من الاستسلام، والانقياد، والخضوع.

قال ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1]، يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾، أنه ليس كما قال الزاعمون: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[2]، ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن، فهو الذي يدخلها وينعم فيها، كما حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي قال: «أخبرهم أن من يدخل الجنة هو من أسلم وجهه لله». الآية.

وأما قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾، فإنه يعني بإسلام الوجه التذلل لطاعته، والإذعان لأمره، وأصل «الإسلام»: الاستسلام؛ لأنه «من استسلمت لأمره»، وهو الخضوع لأمره، وإنما سمي المسلم مسلمًا بخضوع جوارحه لطاعة ربه، كما حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾، يقول: «أخلص لله»، وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١١١).

وأسلمت وجهي لمن أسلمت لـه المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك: استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له.

وخص الله -جل ثناؤه- بالخبر عمن أخبر عنه بقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ بإسلام وجهه له دون سائر جوارحه؛ لأن أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه، وهو أعظمها عليه حرمة وحقًّا، فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له؛ ولذلك تذكر العرب في منطقها الخبر عن الشيء، فتضيفه إلى «وجهه» وهي تعني بذلك نفس الشيء وعينه.

وأما معنى قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[1]، فإنه يعني تعالى ذكره: قال إبراهيم مجيبًا لربه: خضعت بالطاعة وأخلصت بالعبادة لمالك جميع الخلائق ومديرها دون غيره».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاستقامة»: «والإسلام يجمع معنيين؛ أحدهما الاستسلام والانقياد؛ فلا يكون متكبرًا، والثاني الإخلاص من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[2]؛ فلا يكون مشتركًا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٣١).

(٢) سورة الزمر، الآية (٢٩).

لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1]»[2].

الاستسلام لله بالتوحيد:

من شروط التوحيد ومن شروط لا إله إلا الله، أن يستسلم الإنسان لربه جَلَّ وَعَلَا ذل وخضوع لله.

قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾»[3].

ولتحقيق الإسلام لابد من:

أ- تعلم التوحيد.

ب- العمل به.

اعلم علمك الله تعالى أنه لا ينفع علم بلا عمل، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[4]، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) سورة البقرة، الآيات (١٣٠ - ١٣٢).

(٢) «الاستقامة» (٢/ ٣٠٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٨٣).

(٤) سورة العصر، الآيات (١-٣).

(٥) سورة النحل، الآية (٣٠).

لِذَنۢبِكَ﴾[١]، وفي «صحيح مسلم»: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

ولتحقيق التوحيد ينبغي أن ينتبه للأمور:

١- اعتزالهم، قال تعال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾[٣]، وقال تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[٤].

٢- محبة أهله وموالاتهم ومناصرتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٦]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المسلم أخو المسلم...»[٧].

٣- عدم اتخاذهم أولياء والإلقاء إليهم بالمودة، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[٨].

---

(١) سورة محمد، الآية (١٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦).

(٣) سورة الدخان، الآية (٢١).

(٤) سورة الكهف، الآية (١٦).

(٥) سورة التوبة، الآية (١١٩).

(٦) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٧) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٨) سورة الممتحنة، الآية (١).

٤- عدم الركون إلى من خالف الإسلام وأعرض عنه من سائر الكافرين المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[(١)].

٥- البراءة منهم.

٦- ومما يعبدون من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[(٢)].

٧- الكفر بهم.

٨- إظهار العداوة والبغضاء لهم.

٩- جهادهم بالمال واليد واللسان، **«وجاهدوا المشركين بألسنتكم وأيديكم وأموالكم»**[(٣)].

١٠- دعاء الله تعالى أن يجنبه عباده الأصنام، ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[(٤)].

١١- الهجرة إلى بلد الإسلام، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٤).

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، وهو صحيح.

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ﴾[(٢)].

١٢- السمع والطاعة، عن الحارث الأشعري: «من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[(٣)].

الانقياد له بالطاعة:

الانقياد والقبول عند الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بفعل الطاعات وترك المعاصي وأن لا يرد شيء، ومن ذلك ما حكي لما فتح الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الطائف، قال بعض الناس الذي كانوا بها: يا رسول الله، ائذن لنا أن نستمر على عبادة الأصنام، فلم يأذن لهم أبدًا عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

ظنًّا منهم أن دين الإسلام ممكن أن يتنازل عن بعضه، وكذا لو قال إنسان سأسلم ولكن لا أريد أن أصلي أو أدفع الزكاة، فهذا غير مسلم؛ لأنه لم يستسلم وينقاد لله بالطاعة.

والانقياد لله بالطاعة على قسمين:

١- بالأمر وذلك بفعله وهو على درجتين:

أ- أداء الفرائض والواجبات.

ب- الإتيان بالسنن والمستحبات.

٢- بالنهي وذلك بتركه، وهذا أيضًا على قسمين:

---

(١) سورة الصافات، الآية (٩٩).

(٢) سورة النساء، الآية (٩٧).

(٣) رواه ابن حبان (٦٢٣٣)، وأحمد (٢٨/ ٤٠٤-٤٠٦) (١٧١٧٠).

أ- ترك الذنوب والمعاصي.

ب- ترك ما يكره.

البراءة من الشرك وأهله:

فلا يكون الإنسان مسلم إلا بأن يتبرأ من الشرك وأهله (ويتخلى منه)، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1].

وكما قال تعالى على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾[2]، فتبرأ من جميع معبوداتهم إلا الله.

وكما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله**»[3].

والبراءة من الشرك تكون بأمور:

١- عدم اعتقاده وفعله.

٢- بغضه بالقلب، وإنكاره باللسان.

٣- بغض من يفعله ويعتقده، والإنكار عليه.

٤- هجران ومقاطعة من وقع فيه.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية (٤).

(٢) سورة الزخرف، الآيتان (٢٦-٢٧).

(٣) رواه مسلم (٢٣).

وهو ثلاثة مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

المرتبة الأولى: الإسلام.

==

قوله: وهو ثلاثة مراتب: أي مراتب الدين، والدين مأخوذ من دان يدين دينًا، والمقصود بذلك الخضوع والذل وإلزام النفس بالشيء، وأما اصطلاحًا فالدين: العبادات والتكاليف التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ وأمر بها عباده.

ودين الله هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾(١)، وهو الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾(٢)، وهو دين جميع الأنبياء من لدن آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وإنما يختلفون في الشرائع، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾(٣)، وأما أصل الدين وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فهم متفقون على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٤) سورة النحل، الآية (٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[١].

علاقة الإسلام بالإيمان:

إذا أطلق الإسلام دخل فيه الإيمان، وإذا أطلق الإيمان دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإيمان والإسلام جميعًا فالإسلام المقصود به الأعمال الظاهرة وهي أركان الإسلام الخمسة، وسيأتي الحديث عنها، والإيمان هو الأمور الباطنة، وهي الأركان الستة التي جاءت في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٢]؛ فلما أتوا بالأعمال الظاهرة وهي الإسلام، ولم يأتوا بالأعمال الباطنة، أثبت لهم الإسلام ونفى عنهم الإيمان.

وعندما بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب الله جَلَّ وَعَلَا على كل الناس الإيمان به والانقياد لشريعته وأن لا يقبل دينًا سوى ما أنزله على رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٣].

وجاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **«لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار»**[٤].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٥).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٤).

(٣) سورة الأعراف، (١٥٨).

(٤) رواه مسلم (١٥٣).

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده.

«لا إله» نافيًا جميع ما يعبد من دون الله.

«إلا الله» مثبتًا العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

الركن: هو جانب وجزء الشيء الأقوى وهو الذي لابد منه في هذا الشيء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨).

(٢) سورة الزخرف، الآيات (٢٦-٢٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

فالإسلام يقوم على أركان خمسة، وهذه الأركان يشترط لها ثلاثة أمور، يتعلمها فيعرف شروطها وأركانه وما يجب لها:

١- أن يتعلم هذه الأركان ويعرف مقتضاها ولوازمها وأدلتها وما يجب لها.

٢- أن يعمل بهذه الأركان فلا يكفي العلم بها دون العمل (بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج) فمن لا يعمل بها ليس بمسلم.

٣- الدعوة إليها.

أركان الشهادتان:

الركن الأول: النفي «لا إله».

أي نفي كل ما يعبد من دون الله وأنه ليس بآله؛ كما قال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

فلابد من التبرؤ من كل المعبودات التي يعبدها الناس من دون الله تعالى، ولذا أمر الله تعالى نبيه أن يقول للكفار: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾[2]، كما يلزم من ذلك الإنكار على من يدعو غير الله عَزَّوَجَلَّ، كما أخرج البخاري في «صحيحه» (٧) من حديث الزهري عن عبدالله بن عبدالله

(١) سورة الزخرف، الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة الكافرون، الآيتان (١-٢).

ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن أبي سفيان أنه عندما سأله هرقل: ماذا يأمركم -أي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قلت: يقول: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم...**».

وجاء في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عرض عليه المشركون أن يعبدوا إلهه مدة من الزمن وأن يعبد هو آلهتهم مدة من الزمن، فلم يقبل ذلك، وحديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا بأس بإسناده.

وجاء في السيرة أن بعض أهل الطائف طلبوا من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتركهم ومعبوداتهم لمدة معينة فلم يقرهم على ذلك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾[1].

شروط «لا إله إلا الله» سبعة:

الشرط الأول: العلم:

فلابد من العلم بمعناها ومعرفة المراد منها نفيًا وإثباتًا، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[2].

أي بلا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾، بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

---

(١) سورة النساء، الآية (١٤٠).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٨٦).

وفي «الصحيح» عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»**(١).

الشرط الثاني: اليقين:

بأن يكون قائلها مستيقنًا بها وضد اليقين الشك، فلا يكون شاك لأن الشهادة لا تغني إلا إذا كان صاحبها متيقنا منها اليقين، لا علم فكيف إذا دخله الشك.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾(٢).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»**(٣)، **وقال** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا قلبه فبشره بالجنة»**(٤).

الشرط الثالث: الصدق المنافي للكذب: وهي أن يقول الشهادة صدقًا من قلبه يواطي قلبه لسانه.

ودليل ذلك ما جاء في «الصحيحين» عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٥).

(٣) رواه مسلم (٢٧).

(٤) رواه مسلم (٣١).

عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»**[(١)].

الشرط الرابع: المحبة:

المحبة لكلمة الشهادة، وبماذا دلت عليه وما اقتضته ومحبة أهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[(٢)].

الشرط الخامس: الانقياد:

بالعمل بما دلت عليه، فيقبل كل ما دلت عليه الشهادة وينقاد لها بالعمل.

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾[(٣)].

الشرط السادس: القبول.

ويكون في القول والقلب فيقبل هذه الكلمة بقلبه ولسانه.

الشرط السابع: الإخلاص.

بإخلاص وتصفية الأقوال والأعمال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٥).

(٣) سورة الزمر، الآية (٥٤).

(٤) سورة البينة، الآية (٥).

قوله: تفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(١)، فإن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تبرأ من جميع المعبودات التي كان قومه يقومون بعبادتها ونفاها إلا معبود واحد هوا لحق أثبته.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٢)، فاشترط ربنا ألا نعبد إلا الله لا شريك له؛ فهذا نفي وإثبات، «لا نعبد إلا الله» فيها نفي وإثبات ، «ولا نشرك به شيئًا» فيها نفي وبراءة من كل المعبودات إلا لله وحده(٣).

ودليل شهادة أن محمد رسول الله: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٤).

---

(١) سورة الزخرف، الآيات (٢٦-٢٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

(٣) وزاد بعضهم شرطًا ثامنًا، وهو الكفر بما يعبد من دون الله «الكفر بالطاغوت»، وسيأتي أقسام الكفر بالطاغوت في الأصل الثالث.

(٤) سورة التوبة، الآية (٢٨).

ومعنى «شهادة أن محمد رسول الله»: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

==

هذا الشطر الثاني للشهادة، وهي الشهادة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة والرسالة، وأنه مرسل من قبل الله جَلَّ وَعَلَا، للإنس والجن، فيجب الإيمان به، ويكون ذلك بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع أي بالشريعة التي أنزلها الله تعالى عليه.

ومعناها: الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد رسول الله إلى جميع الخلق من الجن والإنس، ولا يعبد الله إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أركان شهادة أن محمد رسول الله، ركنان:

الركن الأول: الرسالة.

وهي أن يشهد بأن محمد بن عبدالله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو رسول الله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾[2].

الركن الثاني: العبودية.

وهي أن يشهد بأن محمد بن عبدالله عبد من عباد الله وأن الله فضله

---

(١) سورة التوبة، الآية (٢٨).

(٢) سورة الفتح، الآية (٢٩).

بالرسالة، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾(١)، فوصفه الله تعالى بأنه عبده.

وكما جاء في «صحيح البخاري» من حديث عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فأنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**»(٢).

قوله: «طاعته فيما أمر».

فيجب طاعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما أمر، فلم يطع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلقًا لا شك في كفره، (وقد تقرر وجوب طاعته بالكتاب والسنة)، فقد قرن سبحانه طاعته بطاعته في غير موضع من القرآن، ولذا من عصاه فقد عصى الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾(٣).

جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله**»(٤).

قوله: «وتصديقه فيما أخبر»؛ فيقبل جميع ما جاء به دون تردد أو استثناء.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٣) سورة النساء، الآية (٨٠).

(٤) رواه مسلم (١٨٣٥).

فهو الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمين الله على وحيه، فكل شيء أخبر به فهو حق، وصدق.

قوله: «واجتناب ما نهى عنه»، وهذا مثل ما تقدم في طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكل ما نهى يجب الانتهاء عنه.

قوله: «وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»، فلا يعبد الله بالأهواء ولا بالبدع، وكل ضلالة في النار.

شروط شهادة أن محمداً رسول الله:

الأول: طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: الانتهاء عما نهى عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الثالث: تصديق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما أخبر.

الرابع: أن لا يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بشريعته التي أنزلها عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾(١).

==========

الصلاة والزكاة من أركان الإسلام التي قرنها الله في مواضع عديدة في كتابه لما لها من الأهمية؛ فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾(٢).

فبين ربنا عَزَّوَجَلَّ أن الناس ما أمروا إلا بعبادة الله والإخلاص له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، والحنيفية هي الميل إلى الله والإقبال إليه؛ لأن الحنف الميل، ومن ذلك الحنف في القدمين، وقد تقدم الكلام على هذا المعنى فيما سبق. فالحنيف المائل إليه، والمبتعد عما سواه.

ولا يكون الإنسان مقيم للصلاة حتى يأتي بستة أمور:

الأمر الأول: أن يؤدي الصلاة فمن لم يؤدها فقد كفر.

ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾(٣)،

---

(١) سورة البينة، الآية (٥).

(٢) سورة البينة، الآية (٥).

(٣) سورة التوبة، الآية (٥).

وفي آية أخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[١]؛ فاشترط إقامة الصلاة مع الإيمان بالله، وأن الإنسان بدون ذلك لا يكون إخواننا في الدين وبالتالي لا يكون من المسلمين.

وقال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾[٢]، فلولا أنهم كفروا بتركهم الصلاة لما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾.

وجاء في السنة ما رواه مسلم من حديث أبي سفيان وابن الزبير عن جابر أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣].

وجاء في حديث بريدة عن أبيه الذي رواه الإمام أحمد وبعض أصحاب السنن أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[٤].

وجاء أيضًا فيما رواه ابن نصر في باب «تعظيم قدر الصلاة» من حديث أبان ابن صالح عن مجاهد أنه سأل جابر: ماذا كنتم تعدون من الأعمال تركه كفر؟ قال: الصلاة[٥].

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١).

(٢) سورة مريم، الآيتان (٥٩-٦٠).

(٣) رواه مسلم (٨٢).

(٤) رواه أحمد (٣٨/ ٢٠) (٢٢٩٣٧).

(٥) «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٢/ ٨٧٧) (٨٩٣).

فهذا نقل رواه جابر وفيه بالإجماع عن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن الصحابة كانوا يرون أن ترك الصلاة يعتبر كفرًا، وظاهر هذا الخبر أجماعهم على ذلك.

ونقل هذا من التابعين عبدالله بن شقيق العقيلي فيما رواه الترمذي قال: «كان أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يرون من الأعمال شيء تركه كفرٌ غير الصلاة»(١).

الأمر الثاني: حتى يكون الإنسان مقيم للصلاة فعليه الإتيان بأركانها وواجباتها.

الأمر الثالث: أن يصليها في وقتها.

الأمر الرابع: أن يصليها جماعة في المسجد وذلك للرجال.

الأمر الخامس: أن يأتي بشروط الصلاة من طهارة وستر العورة واستقبال القبلة.

الأمر السادس: الخشوع في الصلاة.

وأما إيتاء الزكاة فلابد من أمرين:

الأمر الأول: أن تخرج الزكاة عن الأشياء التي تجب الزكاة فيها، من الأموال وبهيمة الأنعام، والزرع والثمار.

الأمر الثاني: أن لا يتأخر عن وقتها الذي وجبت عليه فيه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٢).

ودليل الصيام، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[1].

==

من أركان الإسلام الصيام، وهذا الأمر معلوم من الدين بالضرورة.

وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة كما فرضت في نفس العام الزكاة؛ فعلى العبد حتى يحقق إسلامه أن يأتي به بشروطه.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٣).

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

==============================

ومن أركان الإسلام الحج، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وبها كانت فريضة الحج وذهب بعض أهل العلم إلى أن الحج فُرض قبل ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٧).

المرتبة الثانية: الإيمان:

وهو بضع وسبعون شعبة: فأعلاها، قول: لا إله إلا الله.

وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[1]، **الآية، ودليل القدر: قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

المرتبة الثانية من مراتب الدين: الإيمان.

والإيمان باللغة: التصديق، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[3].

أي مصدق لنا، والتصديق يكون بالطمأنينة والركون والميل للشيء.

والإيمان اصطلاحًا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولا يصح الإيمان إلا بالإتيان بالاعتقاد والقول والعمل بإجماعها، ولا

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٢) سورة القمر، الآية (٤٩).

(٣) سورة يوسف، الآية (١٧).

يصح أن يأتي ببعضها دون الآخر، وقد نقل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إجماع الصحابة والتابعين على هذه الأمور، وأن بعضها لا يكفي عن البعض الآخر، وكذلك نقل ذلك الحميدي شيخ البخاري.

فمن خلال التعريف يتبين ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تصديق القلب:

والمقصود بالتصديق أن يصدق الإنسان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك.

الأمر الثاني: القول والنطق باللسان:

كي يوافق الإنسان لسانه ما في قلبه ويعرب عما في قلبه بلسانه ولذلك عند إسلام الإنسان لابد أن ينطق بالشهادتين.

الأمر الثالث: عمل الجوارح والأركان:

العمل عملان:

١- عمل القلب مثل التوكل والإنابة والخوف والخشية.

٢- عمل الجوارح مثل الصلاة والحج.

وهناك من يقول لا يشترط عمل الجوارح ويقول أن العمل شرط كمال للإيمان وهذا القول لا شك أنه ليس بصحيح ومخالف لنصوص الكتاب والسنة، ولما أجمع عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والسلف الصالح.

فقولهم أن العمل شرط كمال خطأ، كما أن قولهم أن الكفر لا يكون إلا

بالجحود والتكذيب غير صحيح أيضًا، وهو في الحقيقة مذهب المرجئة وليس مذهبًا لأهل السنة والجماعة. فالكفر يكون أيضًا بالقول كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾[١]، وبالعمل أيضًا كالسجود للصنم وقبور الأولياء والصالحين حتى لو كان من غير عقيدة القلب، وهذا قد نقل الإجماع على أنه كفر.

قوله: «وهو بضع وسبعون شبعة»:

وقد خرج الشيخان من حديث عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة «**أن الإيمان بضع وستون شعبة**». وهذا لفظ البخاري، وجاء في «صحيح مسلم» «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون**»[٢]، ولذلك اختلف أهل العلم في عدد هذه الشعب والأقرب هو بضع وسبعون.

وإلى هذا ذهب كثير من أهل العلم، وقد نص ابن حبان في كتابه المسمى «التقاسيم والأنواع» والذي اشتهر بـ«صحيح ابن حبان»، فقال: «إني نظرت إلى ما بين دفتي المصحف فأخرجت الأعمال التي هي من الإيمان، ونظرت ما في السنة فأخرجت الأمور التي هي من الإيمان فجمعت ما في القرآن وما في السنة، وحذفت المكرر فوجدت أن العدد تسع وسبعين وأفرد ذلك في كتاب.

ثم جاء أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي وألف كتابه الكبير شعبة الإيمان وجعل هذه الشعب بضع وسبعون شعبة.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٧٤).

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

والشعبة هي الخصلة من الشيء والجزء منه.

وهذه الشعب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- ما هو ركن في الإيمان كالأركان الستة.

٢- ما هو واجب وليس بركن، فمن تركها قد ترك واجبًا من واجبات الدين مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ - ما هو مستحب، ومثال ذلك إماطة الأذى عن الطريق.

الفرق بين أركان الإيمان وشعب الإيمان:

١- أن كل الأركان لابد منها وأما الشعب فبعضها ليس كذلك.

٢- أن الأركان ستة، وأما الشعب فهي بضع وسبعون.

٣- أن الأركان كلها داخلة في الشعب، فكل ركن شعبة، وليس كل شعبة ركن.

أركان الإيمان:

الركن: جانب الشيء الأقوى.

وأركان الإيمان: ستة، كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الركن الأول: الإيمان بالله.

وهو أساس الإيمان، ومنه تتفرع باقي الأمور والواجبات وكل ما يأتي فهو يبني عليه.

والإيمان بالله لابد له من أمور:

١- الإيمان بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه الخالق والرازق والضار والنافع.

٢- الإيمان بألوهيته عَزَّوَجَلَّ فلا تصرف العبادة إلا له سبحانه.

٣- الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهو توحيد الأسماء والصفات.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة: عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وقد خلقهم الله من نور، وأفضلهم جبريل، وقد كلفهم الله تعالى بأعمال متنوعة، فمنهم سفراء بينه وبين أنبيائه في الوحي كجبريل، ومنهم من هو موكل بالقطر وهو ميكائيل، ومنهم من هو موكل بالنفخ بالصور وهو إسرافيل، وغير ذلك من الأعمال التي وكلوا بها.

والإيمان بالملائكة لابد له من أمور:

١- الإيمان بوجودهم.

٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم.

٣- الإيمان بمن علمنا من صفاتهم.

٤- الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

الكتب جمع كتاب، والكتاب هو الشيء المكتوب والإيمان بالكتب يكون بالتصديق الجازم بأن الكتب منزلة من عند الله على رسله وأنها كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

والإيمان بالكتب لابد له من أمور:

١- الإيمان بأن الله قد أنزلها على بعض أنبيائه ورسله والإيمان بأسمائها.

٢- الإيمان بأن هذه الكتب كلام الله.

٣- تحكيم هذه الكتب والعمل بما دلت عليه هذه الكتب، وهذا في وقتها، وأن القرآن قد نسخ كل الكتب التي قبله.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه وأن جميعهم صادقون مصدقون أمناء هداة مهتدين وهم مصطفون بالنبوة والرسالة.

والرسل على قسمين:

الرسول الملكي والرسول البشري، والمقصود هنا الرسول البشري كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[1].

وتقدم بركن الإيمان بالملائكة الإيمان بالرسول الملكي.

والإيمان بالرسل لابد له من أمور:

١- الإيمان بأن ربنا عَزَّوَجَلَّ أرسل رسلًا إلى عباده.

٢- الإيمان بمن سمي لنا من هؤلاء الرسل والإيمان إجمالًا بأن هناك رسل غيرهم لم يسمهم لنا.

٣- تصديق ما صح عنهم من أخبارهم، وأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو خاتمهم وشريعته نسخت جميع الشرائع السابقة.

---

(١) سورة الحج، الآية (٧٥).

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، فمنهم إلى الجنة ومنهم إلى النار.

والإيمان باليوم الآخر لابد له من أمور:

١- الإيمان بأن هناك يوم يبعث فيه الناس ويحاسبون على أعمالهم.

٢- الإيمان بكل ما جاء في الأخبار عن أهوالها في الكتاب والسنة.

٣- الإيمان بدار البرزخ وعذاب القبر وبأمارات الساعة.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

وهو ما قدره الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته من خير وشر.

والإيمان بالقدر خيره وشره لابد له من أمور:

١- الإيمان بأن الله قدر المقادير للخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

٢- الإيمان بالكتابة وأن الله عَزَّ وَجَلَّ قدر وكتب كل شيء؛ كما جاء في «الصحيح» من حديث عبادة بن الصامت أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أن**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

الله أول ما خلق القلم، قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة»[١].

٣- الإيمان بعلم الله السابق وأن الله لا يخفى عليه شيء ويعلم السر وأخفى.

٤- الإيمان بمشيئة الله التامة وبأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال ابن تيمية: «وتؤمن الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة- بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين. فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق، عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال. ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[٢]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[٣]. وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلًا: فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل

---

(١) رواه أحمد (٣٧/ ٣٨١) (٢٢٧٠٧).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٠).

(٣) سورة الحديد، الآية (٢٢).

نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد... ونحو ذلك. فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السمٰوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه. لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه»[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤٨).

المرتبة الثالثة: الإحسان:

الإحسان: ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[٣].

والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: بينما نحن عند الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»،**

---

(١) سورة النحل، الآية (١٢٨).

(٢) سورة الشعراء، الآيات (٢٢٧-٢٢٠).

(٣) سورة يونس، الآية (٦٠).

قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: فمضى فلبثنا مليًا ثم قال لي: «يا عمر، أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»[1].

==

الإحسان مأخوذ من الشيء الحسن، وهو ضد القبيح وضد المقصر والمفرط، ولذلك مدح ربنا عَزَّوَجَلَّ المحسنين الذين يقبلون على الله ويعملون بطاعته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وذكر بعض صفاتهم.

وركن هذا الإحسان شيء واحد وهو دوام مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وكل ما أطلق الإحسان فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام؛ فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر أوسعها دائرة الإسلام ثم يليها في السعة الإيمان ثم أضيقها الإحسان.

---

(١) رواه مسلم (٨).

كدوائر واحدة منها محيطة بالأخرى.

فمن كان في دائرة الإحسان فهو داخل في الإسلام والإيمان.

وإذا خرج عن الأولى فهو داخل في الثانية، وهي دائرة الإيمان.

وإذا خرج عنها فهو داخل في الثالثة وهي دائرة الإسلام.

ومن خرج من هذه الدوائر الثلاث فهو قد خرج إلى الكفر.

ومراتب الدين الثلاثة -الإسلام والإيمان والإحسان- لابد فيهما من أمرين:

١- أن يحقق الإنسان الإسلام والإيمان والإحسان، وذلك بالعمل بموجبها.

٢- أن يحافظ الإنسان عليها ويستكثر ويزيد فيها علم وعمل.

والمقصود من الاستدلال بحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الاستدلال على مراتب الدين الثلاثة التي تقدم الكلام عليها.

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاثة وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا ورسولًا.

نبئ بـ«اقرأ»، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

والدليل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[1].

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ **ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد،** ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ **عظمه بالتوحيد،** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ **أي طهر أعمالك عن الشرك،** ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ **الرجز: الأصنام وهجرها تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.**

---

(١) سورة المدثر، الآيات (١-٧).

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٢].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.**

والدليل على الهجرة من السنة، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تنقطع** الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣].

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق وهذا دينه: لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شرًّا إلا حذرها عنه، والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

---

(١) سورة النساء، الآيات (٩٧-٩٩).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٥٦).

(٣) رواه أحمد (٢٨/ ١١١) (١٦٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٧٩).

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس.

والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1].

وأكمل الله به الدين.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

والدليل على موته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾[3].

والناس إذا ماتوا يبعثون:

والدليل: قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣).

(٣) سورة الزمر، الآيتان (٣٠-٣١).

(٤) سورة طه، الآية (٥٥).

(٥) سورة نوح، الآيتان (١٧-١٨).

ويعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[١].

ومن كذب بالبعث كفر:

والدليل: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[٢].

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين:

والدليل: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[٣].

وأولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ **وآخرهم محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهو خاتم النبيين.**

والدليل على أن أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، **قوله تعالى:** ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٤].

وكل أمة بعث الله إليهم رسولًا من نوح إلى محمد وأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالى:

---

(١) سورة النجم، الآية (٣١).

(٢) سورة التغابن، الآية (٧).

(٣) سورة النساء، الآية (١٦٥).

(٤) سورة النساء، الآية (١٦٣).

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[1].

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى: معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة:**

١ - إبليس لعنه الله.

٢ - ومن عبد وهو راض.

٣ - ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه.

٤ - ومن ادعى شيئًا من علم الغيب.

٥ - ومن حكم بغير ما أنزل الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[2].

وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[3]، والله أعلم.

---

(١) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

(٣) رواه أحمد (٣٦/ ٣٤٤) (٢٢٠١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) من طريق عبدالله بن معاذ.

وصلى الله وسلم على محمد، وآله وصحبه وسلم.

تمت الأصول الثلاثة

==

قوله: «الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ».

ومن الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها: معرفة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهذا أصل عظيم يجب معرفته لأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الواسطة بيننا وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي بلّغنا ما أمرنا به ربنا عَزَّوَجَلَّ.

والواجب على المسلم تجاه الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ **ثلاثة أمور:**

١- الإيمان به وبأنه مرسل من الله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان بما جاء به وتصديقه في ذلك وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر.

٢- الاقتداء به، وقد جاء نصوص كثيرة تأمر بذلك، كقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[١].

٣- وهذا يدعو إلى معرفة سنته.

كما جاء في حديث العرباض بن سارية في «السنن»، وهو حديث صحيح، أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[٢].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٢) رواه أحمد (٢٨/ ٢٧٢) (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٤٢ - ٤٣)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وكما جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي قلابة عن مالك بن الحويرث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

وما جاء في «صحيح مسلم» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خذوا عني مناسككم**»(٢).

وقال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ **وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ** ﴾(٣). فربنا عَزَّوَجَلَّ يأمر نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة والمقصود بالحكمة هي السنة النبوية كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ** ﴾(٤).

٤- معرفة ما يتعلق بسيرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونسبه، ونسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهرين مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وعدنان من ذرية إسماعيل وإسماعيل هو ابن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، من قريش من العرب الذين يطلق عليهم بالعرب المستعربة أي العدنانيون، نسبة إلى عدنان، والجزء الثاني من العرب هو القحطانيون نسبة إلى قحطان.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٥١).

وقد جاء في «صحيح مسلم» من حديث ثوبان أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[١].

ويدخل في ذلك معرفة سيرته ومتى نزل عليه الوحي وكيف دعاء الناس وكم بقي في مكة والإسراء والمعراج وبعد ذلك هجرته إلى المدينة وكم بقي لها وغزواته وعبادته وشرائعه إلى أن توفاه الله جَلَّ وَعَلَا.

ومن معرفة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معرفة أصحابه ومن ذلك معرفة أول من أسلم من الصحابة، ومعرفة فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبالذات أقربهم إليه كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبقية الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وبقية العشرة المبشرين بالجنة وكذا زوجاته وبالذات خديجة وعائشة وباقي زوجاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: «والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة».

الهجرة هجرتان:

أولًا: هجرة معنوية وهي هجران المعاصي.

ثانيًا: هجرة حسية وهي على قسمين:

القسم الأول: الهجرة الأولى وهي الهجرة من مختلف البلاد إلى المدينة،

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦).

وكانت قبل فتح مكة، فمن يسلم يهاجر إلى المدينة، إلى أن فتحت مكة في العام الثامن من الهجرة، فنسخت هذه الهجرة كما جاء في «الصحيحين»: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»(١).

وروى الإمام أحمد من حديث عبدالله بن السعدي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل**»(٢).

فقال عبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الهجرة خصلتان، أحدهما هي التي تهجر السيئات والأخرى، أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكُفي الناس العمل**»(٣).

القسم الثاني: الهجرة التي أشار إليها المصنف، وهي الهجرة من بلد الشرك إلى بلد التوحيد.

فالبلد الذي ينتشر فيه الكفر والشرك، ولا يستطيع المسلم أن يظهر دينه وعقيدته وإسلامه وإيمانه؛ فعليه أن يهاجر إلى بلد التوحيد فيأمن على نفسه وماله ويظهر دينه وعقيدته وإسلامه، وهذا النوع باقي إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٠٦) (١٦٧١).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٠٦) (١٦٧٢).

فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1].

وهذه الآية الكريمة نزلت في أناس من أهل مكة لم يهاجروا إلى المدينة وكانت مكة آنذاك بلد مشرك قبل الفتح فذم ربنا عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمي أنفسهم؛ لأنهم لم يهاجروا، بل كما جاء في ما رواه البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن هذه نزلت في أناس أسلموا في مكة وبقوا في مكة وعندما جاءت غزوة بدر خرجوا مع المشركين؛ فنزلت فيهم هذه الآية»[2].

قوله: «معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله».

رؤوس الطواغيت:

الأول: إبليس -الذي لعنه الله- وهو رأس الطواغيت الأكبر الذي يدعو الناس إلى الكفر بالله والشرك والضلال.

الثاني: من عبد وهو راض، فمن عبد وهو راض بعبادة الناس له في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

---

(١) سورة النساء، الآيات (٩٧-٩٩).

(٢) رواه البخاري (٧٠٨٥).

كما يفعله بعض الصوفية من عبادة غير الله فيقدسونه ويدعونه، ويتمسحون به، وهو راض فهو كافر؛ لأنه يزعم لنفسه القداسة والألوهية وأنه مستحق العبادة، أما إن عبد وهو غير راض، وينكر ذلك فلا يدخل في الطواغيت.

الثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه، وإن لم يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجب.

الرابع: من ادعى شيئًا من علم الغيب، فهو طاغوت وكافر بالله؛ لأنه يزعم أنه شارك الله في ربوبيته وفي صفات وهي علم الغيب كالمنجمين والرمالين ومن يقرأ المستقبل للناس ونحوهم.

الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله فقد ضل ضلالًا بعيدًا، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ [النساء: ٦٠]، فالحكم بما أنزل الله، والتحاكم إليه هو مقتضى الإسلام والإيمان، وعكسه هو الضلال البعيد، والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهذا معنى «لا إله إلا الله».

ولعظم هذه المسألة وهي «الحكم بغير ما أنزل الله» أسوق إليك ما حرّره حفيد المصنف محمد بن إبراهيم آل الشيخ في هذه المسألة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «إنّ من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين،

في الحكم به بين العالمين، والرّدّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وقد نفى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الإيمان عمن لم يُحكِّموا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيما شجر بينهم نفيًا مؤكدًا بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾، والحرج: الضيق؛ بل لابدّ من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضا هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم: وهو كمال الانقياد لحكمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، بحيث يتخلّون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتمّ تسليم، ولهذا أكّد ذلك بالمصدر المؤكّد، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ المبيّن أنه لا يُكتفى هٰهنا بالتسليم؛ بل لابدّ من التسليم المطلق وتأمل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾، كيف ذكر النّكِرة، وهي قوله: ﴿شَيۡءٖ﴾ في سياق

الشرط، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ المفيد العمومَ فيما يُتصوّر التنازع فيه جنسًا وقدرًا، ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطًا في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر، بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، ثم قال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾، فشيء يُطلقِ اللهُ عليه أنه خير، لا يتطرّق إليه شرّ أبدا، بل هو خير محض عاجلا وآجلًا، ثم قال: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، أي: عاقبةً في الدنيا والآخرة، فيفيد أنّ الردَّ إلى غير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التنازع شرٌّ محضٌ، وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة. عكس ما يقوله المنافقون: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢﴾ [النساء: ٦٢]، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة: ١١]، ولهذا ردّ اللهُ عليهم قائلًا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ١٢]. وعكس ما عليه القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم -بل ضرورتهم- إلى التحاكم إليه، وهذا سوء ظن صِرْفٍ بما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحضُ استنقاص لبيان الله ورسوله، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازمٌ لهم.

وتأمّل أيضًا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾، فإنّ اسم الموصول مع صِلته مع صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وذلك العمومُ والشمولُ هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القدْر، فلا فرقَ هنا بين نوع ونوع، كما أنّه لا فرق بين القليل والكثير، وقد نفى اللهُ الإيمانَ عن مَن أراد التحاكم إلى غير ما جاء

به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المنافقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]، فإنّ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ تكذيب لهم فيما ادّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الإيمان في قلب عبدٍ أصلًا، بل أحدهما ينافي الآخر، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحدّ فكلُّ مَن حَكَمَ بغير ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو حاكَمَ إلى غير ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حَكَمَ بالطاغوت وحاكم إليه وذلك أنّه مِن حقِّ كل أحدٍ أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، لا بخلافه.

كما أنّ من حقِّ كل أحدٍ أن يُحاكِمَ إلى ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فمَن حَكَمَ بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حدّه، حُكْمًا أو تحكيما، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده.

وتأمل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾، تعرف منه معاندة القانونيين، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعًا والذي تعبّدوا به هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه.. ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ثم تأمل قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ كيف دلَّ على أنّ ذلك ضلالٌ، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، كما دلّت الآية على أنّه من إرادة الشيطان، عكس ما يتصور القانونيون

من بُعدهم من الشيطان، وأنّ فيه مصلحة الإنسان، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن وما بُعث به سيدُ ولد عدنان معزولا من هذا الوصف، ومُنحىً عن هذا الشأن وقد قال تعالى منكرا على هذا الضرب من الناس، ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحا أنه لا حُكم أحسن من حُكمه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]. فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلّت على أنّ قِسمة الحكم ثنائية، وأنّه ليس بعد حكم الله تعالى إلاّ حُكم الجاهلية، شاءوا أمْ أبوا، بل هم أسوأ منهم حالًا، وأكذب منهم مقالًا، ذلك أنّ أهل الجاهلية لا تناقُضَ لديهم حول هذا الصدد، وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويناقضون ويريدون أنْ يتّخذوا بين ذلك سبيلًا، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥١]، ثم انظر كيف ردّت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حُسن زبالة أذهانهم، ونحاتة أفكارهم، بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ينكر اللهُ على من خرج من حكم الله المُحْكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرّ، وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها

بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتارُ من السياسات الملكية المأخوذة عن مَلِكهم «جنكيز خان» الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكامٍ قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بَنيهِ شرعا مُتّبعا يقدِّمونها على الحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجعَ إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكِّم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لِمَن عَقَل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلِم أنّ الله أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء». انتهى قول الحافظ ابن كثير.

وقد قال عزّ شأنه قبل ذلك مخاطبا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى مُخيرًا نبيه محمدًا ﷺ، بين الحُكم بين اليهود والإعراض عنهم إنْ جاءُوه لذلك: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، والقسط هو: العدل

ولا عدل حقا إلاّ حُكم الله ورسوله، والحكم بخلافه هو الجور، والظلم، والضلال، والكفر، والفسوق؛ ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧]، فانظر كيف سجّل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل اللهُ الكفرَ والظلمَ والفسوقَ، ومِن الممتنع أنْ يُسمِّي اللهُ سبحانه الحاكمَ بغير ما أنزل اللهُ كافرًا ولا يكون كافرًا، بل كافرٌ مطلقًا، إمّا كفر عمل وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدلُّ أنّ الحاكم بغير ما أنزل اللهُ كافرٌ إمّا كفرُ اعتقادٍ ناقلٌ عن الملّة، وإمّا كفرُ عملٍ لا ينقلُ عن الملّة. أمّا الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع، أحدها: أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقيّة حُكمِ الله ورسوله وهو معنى ما رُوي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أنّ ذلك هو جحودُ ما أنزل اللهُ من الحُكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإنّ الأصول المتقررة المتّفق عليها بينهم أنّ مَنْ جَحَدَ أصلًا من أصول الدين أو فرعًا مُجمعًا عليه، أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطعيًّا، فإنّه كافرًا الكفرَ الناقل عن الملّة.

الثاني: أنْ لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كونَ حُكم الله ورسولِهِ حقًّا، لكن اعتقد أنّ حُكم غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنُ من حُكمه، وأتمّ

وأشمل... لما يحتاجه الناسُ من الحُكم بينهم عند التنازع، إمّا مُطلقا أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث، التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضًا لا ريب أنه كافرٌ، لتفضيله أحكامَ المخلوقين التي هي محضُ زبالةِ الأذهان، وصرْفُ حُثالة الأفكار، على حُكم الحكيم الحميد وحُكمُ اللهِ ورسولِه لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان، وتطور الأحوال، وتجدّد الحوادث، فإنّه ما من قضية كائنة ما كانت إلاّ وحُكمها في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ نصًّا أو ظاهرًا أو استنباطًا أو غير ذلك، عَلِمَ ذلك مَن علمه، وجَهِلَه مَن جهله وليس معنى ما ذكره العلماء من تغيّر الفتوى بتغير الأحوال ما ظنّه مَن قلَّ نصيبُه أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعِلَلها، حيث ظنّوا أنّ معنى ذلك بحسب ما يُلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية، وأغراضهم الدنيوية وتصوّراتهم الخاطئة ولهذا تجدُهم يحامون عليها، ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها، مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكَلِم عن مواضعه.

وحينئذٍ معنى تغيُّر الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه: «ما كان مُستصحبه فيه الأصول الشرعية، والعلل المرعية، والمصالح التي جِنْسُها مرادُ لله تعالى ورسوله ﷺ، ومن المعلوم أنّ أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل، وأنهم لا يقولون إلاّ على ما يلائم مراداتهم، كائنة ما كانت، والواقع أصدقُ شاهدٍ.

الثالث: أنْ لا يعتقد كونَه أحسن من حُكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين الذين قبله، في كونه كافرًا الكفرَ الناقل عن الملّة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ونحوها من الآيات الكريمة، الدالّة على تفرُّدِ الربّ بالكمال، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحُكم بين الناس فيما يتنازعون فيه.

الرابع: أنْ لا يعتقد كون حُكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلًا لحكم الله ورسوله، فضلًا عن أنْ يعتقدَ كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحُكم بما يخالف حُكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدُقُ عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جوازَ ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلًا، وتفريعًا وتشكيلًا وتنويعًا، وحكمًا وإلزامًا، ومراجع ومستندات. فكما أنّ للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدّات، مرجعها كلُّها إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلهذه المحاكم مراجعُ، هي: القانون المُلفّق من شرائعَ شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك. فهذه المحاكم في كثير من أمصار

الإسلام مهيّأة مكملة، مفتوحةُ الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثْر أسراب، يحكُمُ حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكم السُنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتُقِرُّهم عليه، وتُحتِّمُه عليهم.. فأيُّ كُفر فوق هذا الكفر، وأيُّ مناقضة للشهادة بأنّ محمدًا رسولُ الله بعد هذه المناقضة. وذِكْرُ أدلّة جميع ما قدّمنا على وجه البسْطِ معلومةٌ معروفة، لا يحتمل ذكرها في هذا الموضوع. فيا معشر العُقلاء، ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى كيف ترضون أنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم، وأفكارُ أشباهكم، أو مَن هم دونكم، مِمّن يجوز عليهم الخطأ، بل خطأهم أكثرُ من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حُكمهم إلاّ ما هو مُستمدٌّ من حُكم الله ورسولِه، نصًّا أو استنباطًا، تَدَعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم، وفي أموالكم وسائر حقوقكم، ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحُكم الله ورسوله، الذي لا يتطرّق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم ربِّهم خضوعٌ ورضوخٌ لِحُكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجدُ الخلقُ إلاّ لله، ولا يعبدونَ إلاّ إياه ولا يعبدون المخلوق، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلاّ لحُكم الحكيم العليم الحميد، الرؤوف الرحيم، دون حُكم المخلوق، الظلوم الجهول، الذي أهلكته الشكوكُ والشهواتُ والشبهات، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة

والظلمات فيجب على العُقلاء أن يربئوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلًا عن كونه كفرًا بنصِّ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

السادس: ما يحكُم به كثيرٌ من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمُّونها «سلومهم»، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحُضُّون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبةً عن حُكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وأمّا القسم الثاني من قسمي كُفر الحاكم بما أنزل الله، وهو الذي لا يُخرجُ من الملة فقد تقدّم أنّ تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الآية: «كُفر دون كفر»، وقوله أيضًا: «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»، وذلك أنْ تَحْمِلَهُ شهوتُه وهواهُ على الحُكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أنّ حُكم الله ورسوله هو الحقّ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى وهذا وإنْ لم يُخرِجْه كُفْرُه عن الملّة، فإنه معصية عُظمى أكبرُ من الكبائر، كالزنا وشُرب ..الخمر، والسّرِقة واليمين الغموس، وغيرها فإنّ معصيةً سمّاها اللهُ في كتابه كفرًا، أعظمُ من معصية لم يُسمِّها

كُفرًا نسأل الله أنْ يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادا ورضاءً، إنّه وليٌّ ذلك والقادر عليه[1].

وبهذا انتهى «شرح الأصول الثلاثة»

ولله الحمد والمنة

اعتنى به

سعد بن محمد بن صالح بن صيحان القحطاني

الرياض ١١/٥/١٤٤١هـ



(١) «فتاوى الشيخ» (١٢/ ٢٨٤-٢٩١).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❁❁❁